قضـية الإسلام والشعر
في
(ميزان النقد الأدبي)

الدكتـــــور
محمد محمد عبد الله حسن سلام
مدرس الأدب والنقد
في
كلية اللغة العربية (إيتاى البارود)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة:

حمداً لله خالق كل شئ ، وله كل شئ، وصلاة وسلاماً على أفضل من خلق وأصدق من نطق سيدنا محمد بن عبد اللاه وجميع من والاه .

وبعـــد

فإن قضايا النقد الأدبي عديـدة، وكـم هـى مهمـة وجليلـة؟ ومـن أهمهـا وأجلها قضية (**الإســلام والشعـر**) .

وتتمثل أهمية هذه القضية ويبدو جلالها من خلال ما يكتنفهـا مـن مظـان وشكوك تصل إلى حد الطعون التى وجهت ـ ولا تزال توجه ـ سهامها المسـمومة إلى منهج الإسلام بقصد أو غير قصد .

وإذا كان القصد يتمثل فى طوائف تريد أن تنال مـن العروبـة والإسـلام، وهذا أمر يحتم النهوض لكشف مزاعمهم وتبيان حقيقة نواياهم وأبعـاد مراميهـا بمواجهة نقودهم التى يعمدون إليها ، وإبطال دعاواهم وطعونهم التـى يعولـون عليها ـ إذا كان هذا يتمثل لدى أصحاب القصد فى هذه القضية، فإن غير القصـد يتمثل فى نفر ليس بهين شأنهم ، ولا بقليل عددهم من خلال آرائهم واختيـاراتهم ومتابعاتهم النقدية والأدبية التى قد يتابعها بغير وعى عديد .

إما ثقـة أو إغفالاً لحاسة النقد الفطرية أو المكتسبة ـ من طوائفنا المختلفة، حيث يستغل ذلك الطاعنون على الإسلام ولغته وأدابه .

وفى رأيى أن التساهل مع أصحاب غـير القصـد قـد يكـون أشـد خطـراً وأكثر ضرراً ، وأعمق أثراً من خلال التمادي فى المتابعة ـ بغير وعى ـ التى قد تؤدى إلى أن يتأكد الطعن ، وتثبت الشبهة ، فتستحيل إلى حقيقة تأخذ موقع الحـق ، بـل

تجعل الحق باطلاً، أو موضع اتهام، أو على أقل تقدير تجعله يأخذ موقع الدفاع رغبة فى إثنائه عن التقدم والانطلاق .

ورغم جلال هذه القضية وأهميتها فإنني لا أدعى أنني أول من نهض لدراستها وتجليتها ، فما أكثر وأجدر نقادنا الأمناء الذين شمروا عن سواعد النقد الأمين مدلين بدلائهم مسجلين ما جادت به قرائحهم النقدية ، على أنى ــ مع إفادتي المتنوعة من جهدهم جميعاً ـ وجدتني منجذباً لأقف خلفهم أنظر من بعيد، وأحاول أن أمسك بكل منظار يعينني على سبر الرؤية بإمعان النظر في أطر الإبداع الشعري، وتقدير تباين ظروف إبداعه وتمحيص عملية نقده ومحاكمته بموضوعية تبارك وتؤكد ما وفَّقوا إليه وتبنى عليه، وتضيف إليه ما يعمل على إثراء الرؤية النقدية الإبداعية من خلال عدة أمور.

أولها : عرض القضية فى ثوب نقدي جديد مرتب وممنهج ،حيث إن بعض الدراسات الأدبية والنقدية لهذه القضية تناولتها عن طريق إلحاقها بدراسة أدب العصر السابق على عصرها ـ وهذا جميل ـ غير أنه مع اتساع مساحة الدراسة ربما أصيب القارئ بأشياء تعمل على إملاله أو شتاته.

ثانيها : الاهتمام في معالجة القضية بالرؤية النقدية التحليلية ، حيث إن معظم الدراسات التي تناولت هذه القضية كانت تعول على الإكثار من التمثيل والاستشهاد بالنماذج رغبة في إثبات غزارة النتاج الشعري دون التركيز على الجانب التحليلي بقدر كاف رغم أهميته في إظهار قيمة النموذج والدليل على صحة ما تثبته.

ثالثها : بيان أن تلك الطعون والاتهامات والشكوك التي وجهت إلى منهج الإسلام حيال الشعر في عصر النبوة لا تزعجنا فقد سبق أن تعرضت حضارة

اليونان وتعرض فلاسفتها إلى نقود عديدة وشديدة حيال تعرضهم للشعراء بالنقد وبالتقويم والتوجيه ، ولذا فقد أردت أن أبث الطمأنينة في نفوس الغيورين على منهج الإسلام من جانب ، كما أردت من جانب آخـر .

ـ وأنا أتمثل هذا الأمر لدى حضارة اليونان ـ أن يتجلى الأمـر بـين الرؤيـة اليونانية النقدية للشعر والشعراء وهى (رؤية تنشد السمو إلا أنها رؤية محدودة)، وبين الرؤية الإسلامية النقدية للشعر والشعراء، (وهى الرؤية الأسمى والأشمل والأكمل والأمثل) .

ورابعها : أنه لما كانت أصول هذه القضية ترجع إلى القرن الثانى الهجري غير أننا لا نفتأ نجد بين الفنية والأخرى من يعزف على الأوتار نفسها التى وقع عليها نفر من النقاد السابقين الذين لم يكونوا ليقصدوا أن تستغل رؤاهم فى يوم ما لمحاولة النيل من منهج الإسلام ، لكن الأمر قد بلغ مبلغاً أنه لم يعد يقتصر على مجرد رأى نقدي وفق رائيه أو أخفق ، حيث شاع الأمر لدى دعاة نقد ودعاة فن كل يوم فى أكثر من سبيل من سبل التلقى والتأثير تروج لمثل تلك الادعاءات الباطلة والآراء المغلوطة والافتراءات الزائفة التى تزعم أنها تنشد حرية الإبداع التى أعاقها وأعقمها الإسلام .

(**كبرت كلمة تخرج من أفواههـم إن يقولون إلا كذبا**)[1]، فكان لابد أن يجـد كلـما جـدت مثـل تلـك الدعـاوى الزائفـة جديـد مـن أعمـال النقـد الأدبي الموضوعي الذى يعـمل فى نـور قـول الحق تـبارك وتعالـى: (**فأما الزبد فيـذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض**)[2] .

وقـد أردت لهذا العمـل لكـى يكـون ذا تـأثير أوقـع أن تكـون معالجتـه النقدية على مرحلـتين :

---

(١) سورة الكهف:آية ٥ .

(٢) سورة الرعد: آية ١٧ .

أولاهما : تمثل رؤية نقدية مجملة أو عامة تعالج حال الشعر على مدى عصر صدر الإسلام من خلال معطيات الإسلام وظروف العصر المختلفة ممثلة فى موقف القرآن العظيم وبيان الرسول الكريم من الشعر والشعراء وكذا موقف خلفاء الرسول والأحداث المختلفة التى تفاعل معها الشعراء مسلمين كانوا أو غير مسلمين .

وثانيتهما : تمثل رؤية نقدية مباشرة تعمد إلى الآراء النقدية مصدر هذه القضية والرد عليها رأيا برأى ، وحجة بحجة ، وهى رؤية لا تهمل الدليل ولا التمثيل ولا التحليل .

وإنما أردت أن تكون المعالجة بهذه الطريقة رغبة فى الموضوعية ونأياً عن التعصب والشطط فى إبداء الرأى ، أو نقد الرأى الآخر، فليست العملية عملية حشد آراء أو فرض رأى أو رؤية ما على القارئ أو المتلقي بعيداً عن أن نسمح له أن يرى بنفسه ذلك العصر ، ويدلف إلى تطوراته وأحداثه ومعطياته ، وحقائقه ، ونتاجه وتنوعه وتأثره وتأثيره ، وخصائصه ونتائجه ، ولا شك فى أن الاطلاع على مثل هذه الأمور سوف يجلى للمتلقى حقيقة إبداع العصر عامة بما يكشف عن بعد البون بين حقيقة ذلك الإبداع الشعرى ودوره الجليل ، وبين تلك الآراء النقدية التى ندَّت بعيداً عن التوفيق فى رأيها حيال هذه القضية .

وأردت بعد ذلك أن تكون المعالجة النقدية مباشرة بعد أن تكون النفوس قد تهيأت لقبول المعالجة الثانية بنقد تلك الآراء المجملة فى صورة مفصلة مقرونة بالدليل المعضد بالتحليل ، فيقع ذلك لدى المتلقى موقعاً حسناً ويتمكن من نفسه فضل تمكن .

خطـة البحث:

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون على النحو الآتى:

المقدمة : وفيها تحدثت عن أهمية الموضوع ودواعي دراسته والغاية من بحثه وخطته .

الفصل الأول: القضية مضمونها ومصادرها ومرتكزاتها .

المبحث الأول : تحدثت فيه عن مضمون القضية ومصادرها .

المبحث الثانى : تحدثت فيه عن مرتكزات أساسية فى القضية .

الفصل الثانى : القضية : رؤية نقدية مجملة (غير مباشرة) .

وقد جاء هذا الفصل فى مبحثين اثنين كـذلك :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن حال الشعر فى عهد النبوة .

المبحث الثاني : تحدثت فيه عن حال الشعر فى عهد الخلافة الراشدة .

الفصل الثالث : القضية رؤية نقدية مفصلة (مباشرة) .

وقـد جاء هذا الفصل فى خمسة مباحـث ٠

المبحث الأول : الرد على القول : بأن الشعر بابه الشر .

المبحث الثانى : الرد على القول : بأن الشعر إذا دخل فى الخير لان .

المبحث الثالث : الرد على القول: بأن حسان سقط شعره فى الإسلام .

المبحث الرابع : الرد على القول: بتشاغل العرب عن الشعر وروايته بالجهاد .

المبحث الخامس: الرد على القول: بذبول الشعر فى الإسـلام .

الفصل الرابع : حرية الشعراء قديماً وحديثـاً

وقد جاء فى مبحثين :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن حرية الشعراء بين حضارة اليونان وبين منهج الإسلام .

المبحث الثانى : وتحدثت فيه عن حرية الشعراء بين فوضى دعاة الحرية وبين التزام منهج الإسلام .

الخاتمة : وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج هذا البحث ،

ثبت بأهم المصادر والمراجع .

فهرس به محتويات البحث وأرقام الصفحات .

الفصل الأول
قضـية الإســـلام والشعر
(مضمونها ومصادرها ومرتكزاتها)

المبحـث الأول :
مضمون القضية ومصادرهـا:
أولاً :مضمونهـــا:

يتمثل مضمون قضية الإسلام والشعر في تلـك الأقـوال والآراء النقديـة التى تواترت فى أمهات كتب النقد والأدب العربي قديماً ، وتتـابع ذلـك إلى يومنـا هذا لدى البعض ممن لايفتأون يرددون ما كان قائماً من تلك الأقوال على أنها تعبير عن رؤى خاصة وافتراضات اجتهادية لقائليها، غير أنهم فى ترادهم لهـا الآن إنـما يرددونها على أنها مسلمات وحقائق ثابتة، مؤداها أن الإسلام منذ أشرقـت أنـواره على أرض العرب قد أدى إلى إنطفـاء جـذوة الشـعر العـربي التـى طالمـا توقـدت وعملت على إذكاء حياة العرب فى شتى مناحيها طوال العصر الجاهلي على ألسـن شعرائه الفحول الذين ذهبوا بشعرهم فى القول كل مذهب ، ثـم انـحسر فى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين (رضى الله عـنهم أجمعـين) ، ففتر وضعف لدرجة العقم لآن الإسلام قد قضى على دوافعه وأسبابـه.

ثانيا :مصادر القضية :

[١] يعد قول الأصمعى فى رأيه عن الشـعر فى صـدر الإسـلام منـذ القـرن الثـاني الهجري مصدراً أساسياً فى هذه القضية حين قال(١) : (الشـعر نكـد يقـوى فى الشر، فإذا دخل فى الخير ضعف ولان) .

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ج١ ٢٢٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ـ وراجع كذلك: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج١، ص ٤٠٣ ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٩٥٥م٠ بمصر، وكذا الموشح للمرزبانى ، ص ٨٥ ، ٩٠، تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م .

وقد استدل على صحة رأيه وما ذهب إليه بشعر حسان بن ثابت فقال[١] : (هذا حسان فحل من فحول الشعراء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره). وهو يقول مثل هذا فى أكثر من موضع وإن اختلفت درجة حدته فى رأيه، إذ يقول[٢] :

(الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان قد علا فى الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره فى الخير ـ من مراثى النبى (صلى الله عليه وسلم) وحمزة وجعفر ـ رضوان الله عليهم ـ لان شعره، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحيل والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والافتخار) .

[٢] ويعد قول محمد بن سلام الجمحى مصدراً آخر لهذه القضية يؤدى إلى تثبيت فكرة الأصعمى، حيث يقرر فى كتابه (طبقات فحول الشعراء) أموراً تعمل على دعم ما ذهب إليه الأصمعى، بل لعله يخلق له المبررات إذ يقول[٣]:

(وكان الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون ... فجاء الإسلام ، وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت العرب عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد

---

(١) المراجع السابقة وصفحاتها.

(٢) المراجع السابقة وصفحاتها.

(٣) طبقات فحول الشعر لمحمد بن سلام الجمحى، ج١، ص ٢٤، ٢٥. قرأه وشرحه محمد محمود شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة، (د ـ ت) .

هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم منه كثير) .

[٣] ويعد رأى ابن خلدون عن الشعر فى عصر صدر الإسلام مصدراً مهماً كذلك فى هذه القضية، وإن اختلف عن سابقيه فى عموم الرأى وإطلاقه، حيث يقرر كذلك ضعف الشعر وانحساره فى أول أمر الإسلام دون أن ينسحب رأيه على طول العصر حين قال فى مقدمته[١] :

(انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم عن أمر الدين والنبوة والوحى، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك، وأونس الرشد من الملة، ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبى (صلى الله عليه وسلم) وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه) .

كانت تلك هى أهم الأقوال والآراء فى هذه القضية غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، إذ تظل هذه الفكرة تتردد لدى كثير من المشتغلين بالأدب والنقد حتى عصرنا هذا دون تمحيص ، فقد انساق وراء هذه الفكرة نفر من النقاد على اختلاف مشاربهم ونحلهم .

[٤] فهذا جورجى زيدان يردد مضمون القضية ذاتها متأثراً بكثير من عبارات ابن خلدون التى أقرها وتمثلها،بل إنه ليكرر بعضا منها إذ يقول[٢] :

(لما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب، وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة إلى الشعر والشعراء ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب فى

---

(١) مقدمة بن خلدون، ص ٥٤٧ ، ط دار الشعب (د- ت) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج١، ١٩٥، ١٩٦ . راجعه وعلق عليه د. شوقى ضيف، ط دار الهلال ، القاهرة (د- ت) .

الجهاد لنشر الإسلام وبالأسفار، وقد أدهشتهم أساليب القرآن، وأخذتهم النبوة، وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها) .

[٥] وتستطيع أن تجد مثل تلك الرؤية مع الاختلاف فى طريقة التناول ودرجة إبداء الرأى على نحو ما نجد ذلك عند الدكتور مصطفى الشكعة الذى يقرر أن إدلاءه فى هذه القضية برأيه لا يعد أصلاً ، وإنما هو لايعدو أن يكون نافلة، حيث يقول[١]:

(لعله من نافلة القول أن نعترف بأن الشعر قد خبت جذوته وتوارت بلاغته فى إبان البعثة النبوية وخلالها، لقد توارى الشعر وتحامى إنشاده الشعراء بالشكل الذى تعودوا أن ينشئوه وينشدونه قبل البعثة المحمدية) يستوى فى ذلك من وجهة نظره عامة الشعراء مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين ، حيث يقول[٢]:

(وكل من طرفى المؤمنين وغير المؤمنين من فرسان القول شعراً ونثراً قد آثروا السلامة فلم يحاولوا أن يخرجوا على الناس بما تعودوا أن يخرجوا به عليهم من سابق قولهم، إيماناً منهم بأن بضاعتهم قد أصبحت رخيصة أمام ذلك القول السماوى ... حتى أن شاعراً فحلا مثل لبيد أقلع عن الشعر تماماً بعد أن أسلم بسبب احتفاله بالقرآن الكريم) .

غير أن الأمر لم يظل على مجرد تردد مثل هذه الأقوال صدى لمصادرها الأولى إذ يصل الأمر إلى حد الشطط والانحراف عن حدود النقد الموضوعي على نحو ما نجد من يدلف قائلاً[٣]:

---

(١) الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ص ٩١ ط دار الكتاب اللبنانى، بيروت .

(٢) السابق : ص ٩٢ ٠.

(٣) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: ص ١٩٠ . نقلا عن د. هدارة.

راجع كتابه: دراسات ونصوص فى الأدب العربي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٨٥م .

(إن شعر صدر الإسلام هو النهايـة الضـعيفة الذابلـة والمنحرفـة للشـعر الجاهلى وهو يمثل عقابيل المعركة بين الحياة الإسـلامية وبـين الحيـاة الجاهليـة ... وليس أدل على ذبول الشعر من أننا لا نرى هنا ما كنا نرى فى العصر الجاهلي)[1] .

إن هذه الأقوال وأمثالها ينبغى ـ لجلال هذه القضية وأهميتها ـ أن تتعرض لتمحيص دقيق ، وتوضع تحت مجهر النقد القويم الأمين ، لأنها لم تنته إلى ما انتهت إليه إلا بعد دراسة كان حرياً بها أن تتشبث بأكثر من منظار يمنحها الاقتـدار عـلى استقصاء الرؤى من كل الجوانب مروراً بمختلف المراحل الزمنيـة مراعيـة تبـاين الظروف التى تلم بكل مرحلة، وما طرأ عليهـا مـن متغـيرات، ومـا تقتضـيه مـن متطلبات، وما خلفته من نتاج ينبغى أن يتعامل معه بموضوعية تقـدر الكـم ، ولا تبخس الكيف .

---

(١) قد يرى البعض أن مثل هذه الأقوال الحديثة لا يجب أن تعد ضمن مصادر هذه القضية ولكنى رأيت إدراجها على سبيل أن تتابع مثل هذه الأقوال يعد تأكيداً وتثبيتاً لمصادر هذه القضية، كما أن البعض قد يرى فيها أهمية ويتأثر بها ويستشهد. فكان لابد من عرضها ومعالجتها.

المبحث الثاني
مرتكزات أساسية فى القضية

(عن موقف القرآن من الشعر والشعراء)(١)

أود قبل البدء فى معالجة مصادر هذه القضية المتمثلة فى تلك الأقوال التى تعد مقدمات مثيرة تحفز إلى مناقشة دعاواها أن أعالج نقطة أساسية تمثل ركيزة ربما يكون قد ركن إليها نفر من الذين يمتون إلى الأدب والشعر والنقد بسبب على تفاوت بينهم، وربما فهمها كثير من الناس فهماً يجانب الصواب، وينافى وجه الحقيقة ، فيكون لها دور رئيس فى ظهور مثل تلك الدعاوى، وتتمثل تلك الركيزة فيما يتعلق ببعض آى الذكر الحكيم التى تناولت الحديث عن الشعر والشعراء بوجه خاص، أو عام لكنه مشتمل على استثناء قد لا يقتصر على طائفة دون غيرها، أو فترة دون غيرها .

وقد آثرت أن أنطلق من هذه النقطة لمعالجة هذه القضية إذ إنها تمثل المنطلق الذى نبعت منه تلك الأقوال من خلال رؤيات وتصورات محدودة ثم تكون المتابعة لحال الشعر والشعراء فى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم فى عرض يجمع بين التطبيق والتحليل دون أن يغفل جوانب من التسلسل والتأريخ والتفسير والتوجيه الذى يوفر كثيراً من الجهد الفلسفى فى المعالجة النقدية .

---

(١) قد يرى البعض أن الأولى أن يدرج هذا المبحث ضمن الفصل الثانى الذى يعالج حال الشعر والشعراء فى الإسلام ببيان موقف الرسول وخلفائه، وهو ما يفضل أن يكتمل بموقف القرآن الكريم، غير أنى فضلت أن يكون ضمن الفصل الأول لارتباط جوهر القضية بهذا المبحث، كما أنى جعلته فى ختام الفصل الأول ليسلم إلى الفصل الثانى فى ترابط موضوعى وانسجام فنى لبناء البحث.

أولاً : الآيات التى تنفى أن يكون القرآن الكريم شعراً، وأن يكون النبى (صلى الله عليه وسلم) شاعراً .

لقد ورد فى التنزيل العزيز فى عدد من سوره آيات كريمة تنفى أن يكون القرآن الكريم شعراً ، وأن يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) شاعراً .

ومن هذه الآيات الكريمة ـ قوله تعالى ـ[1]: ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن كريم**﴾ ، وقوله تعالى[2]:﴿ **إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون** ﴾ .

إن تنزيه القرآن الكريم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أن يكون شاعراً، أو أن يكون القرآن الكريم شعراً حقيقة ثابتة لا شك فيها؛ فالقرآن خلاف الشعر وغيره من ألوان الأدب التى برع فيها العرب مثل سجع الكهان والمفاخرات والمنافرات، وهو ليس من قول البشر، ولا تستطيعه الجن والإنس . ونفى القرآن كون الرسول شاعراً ليس الغرض منه الطعن على الشعر والشعراء أو الغض من قيمتهما مطلقا . وما أجمل تفسير (ابن رشيق) وماأصدقه إذ يفسر قول الله تعالى : (**وما علمناه الشعر وما ينبغى له**) إذ يقول :[3] (معناها : ما الذى علمناه شعراً ، ولو أن كون النبى (صلى الله عليه وسلم) غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة) .

إن الغرض من ذلك هو أن يفرق بين طبيعة كل ، حتى لا يقال: إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بجديد ، وأن ما يقوله مما يتنزل عليه هو

---

(١) سورة يس : آية رقم ٦٩.

(٢) سورة الحاقة : آية رقم ٤٠ ، ٤١ .

(٣) العمدة: ابن رشيق القيروانى، ج٢١ راجع ص ٢١، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، ط دار الجيل، بيروت، لبنان، ط خامسة، ١٩٨١م .

شعر يستطيع الشعراء أن يأتوا بمثله، وإذن ما الداعى لأن ينقادوا له ويتبعوه ما دام لم يأت بجديد، على نحو ما يفسر القرآن الكريم ذلك جلياً فى قوله تعالى: (**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**)[1].

ثانياً : محاولات فاشلة زعمت أن بعض آيات القرآن الكريم على قوالب الشعر .

وقد حاول عديد من الباحثين ـ على اختلاف نحلهم ومنازعهم ـ أن يثبتوا وجود شعر فى القرآن الكريم ؛ المستشرقون معظمهم يريدون أن يثبتوا أن القرآن ليس وحياً من عند الله ؛ والباحثون[2] العرب تتباين وجهتهم وبغيتهم من خلال رصد ما استطاعوا من الظواهر الفنية والأسرار البلاغية التى يشتمل عليها لاستكشاف جوانب الإعجاز فيه، فقد صرح المستشرق (بروكلمان) بأن المحاولات التى كررها المستشرق (جريمة) للكشف عن أبيات شعر فى القرآن لم تكن مثمرة ، كما أن نظرية (مولر) التى أيدها (جاير) وهى أن قالب القرآن من القوالب الشعرية قد رفضها (نولدكة)[3] .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٥.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى: ص ٢٦، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د ت والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى: ج٢، ص١٢٤ . المكتبة الثقافية، بيروت ، لبنان ، د ت.

(٣) تاريخ الأدب العربى: بروكلمان، ج١، ص ١٣٧، نقله إلى العربية د. عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر.

ومن تلك الآيات التى أشار إليها الباحثون قوله تعالى: (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)[١]، وقوله تعالى: (**أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم**)[٢].

وقوله تعالى: (**هيهات هيهات لما توعدون**)[٣]، وقوله تعالى: (**لمثل هذا فليعمل العاملون**)[٤]، وقوله تعالى :(**وجفان كالجواب وقدور راسيات**)[٥]، وقوله تعالى : (**والعاديات ضبحاً فالموريات قدحا**)[٦] وقوله تعالى: (**تبت يدا أبى لهب وتب**)[٧].

وقد أوردوا مثل هذه الآيات التى أجروها على أوزان بعض البحور الشعرية تامة أو مجزوءة أو مشطورة ، على أن ذلك كله لا يؤدى إلى أن يكون فى القرآن الكريم شئ من الشعر. وقد كفانا فى الرد على هذه الفرية أحد أعلام هذه الأمة الأفذاذ منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، إنه (الجاحظ) حين قال[٨]:

(اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم، ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً ...، وليس أحد فى الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح:من يشترى باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٢.

(٢) سورة الماعون : آية ١ ، ٢.

(٣) سورة المؤمنون: آية ٣٦.

(٤) سورة الصافات: آية ٦١.

(٥) سورة سبأ: آية ١٣.

(٦) سورة العاديات: آية ١ ،٢.

(٧) سورة المسد: آية ١ ، ٢.

(٨) البيان والتبيين : ج١، ص ٢٨٨، ٢٨٩، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٣م.

فى وزن مستفعلن مفعولات ، فكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام ، وإذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً) .

ثالثاً : آيات سورة الشعراء ومنهج جديد للشعر :

جاءت آيات سورة الشعراء بعد أن بلغ شعراء المشركين فى عدائهم وهجائهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) كل مبلغ فأنزل الله تعالى قوله :

(والشعراء يتبعهم الغاوون ۞ ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ۞ وأنهم يقولون مالا يفعلون ۞ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)[1] .

لقد جاءت الآيات الكريمة تنعى عليهم صنيعهم وصنيع من يتبعهم فى غوايتهم وافتراءاتهم • ولما كان القرآن الكريم تنزيلاً من حكيم حميد ـ فإن التنزيل الحكيم لم يلق الحكم بالغواية على الشعراء وتابعيهم عامة دون استثناء، إذ استثنى منهم الذين لم ينهجوا نهج الغاوين. **وإنما أراد الإسلام أن يرسى منهجاً جديداً قويماً للشعر** فن القول كى يكون له دور رئيس ينسجم مع العمل الصالح من أجل إصلاح الحياة• فلم يشأ الإسلام أن يقضى على الشعر، بل لقد طالب شعراء المؤمنين أن ينتصروا للحق والعدل والخير، وأن يواجهوا قواد الغواية والضلال والافتراء .

وإذا كانت مصادر الأدب العربى وأمهات الكتب النقدية قد ذكرت لنا أسماء أبرز أولئك الشعراء الذين[2] غووا وبغوا ، كما ذكرت بعضاً من أخبارهم

---

(١)سورة الشعراء: آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) من أظهر شعراء الكفر: عبد الله بن الزبعرى الذى آثار الخواطر ضد المسلمين بعد غزوة بدر، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى الذى كان شديد العداوة لله ولرسوله، وله أبيات مقذعة فى وقعة أحد، وأمية بن ابى الصلت الذى نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن رواية مرثيته فى قتلى بدر من المشركين ، وكعب بن الأشرف الذى كان من شعراء اليهود وهجا الرسول (صلى الله عليه وسلم) والإسلام وشبب بنساء النبى ونساء المسلمين فهب إليه محمد بن مسلمة فى رهط من الأنصار فقتلوه،وأبو عزة الجمحى،ومسافع بن عبد مناف ـ عن أولئك الشعراء وأمثالهم اقرأ ـ إن شئت ذلك ـ=

وأوردت قصائد ومقطوعات من شعرهم الزرى ـ فإن تلك المصادر الزاخرة قد ذكرت كذلك أسماء أبرز الشعراء المسلمين الذين نافحوا ودافعوا بشعرهم عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعن دين الإسلام ، وصوروا محاسنه، وعروا سوآت الجاهلية والضلال ، غير أن القرآن لم يختص أولئك الشعراء الأبرار بالاستثناء الذى يبرئ ساحتهم من الغواية والفحش ، إذ إن الحقيقة أن الإسلام أراد أن يرسم الصورة المثلى للشاعر المسلم الحق فى حدود إطار نقى يسمو بفكر الإنسان ، ويغذى روحه، ويهذب مشاعره ، ويرتفع بأخلاقه عن الدنيات والنقائص، وينشد الجمال الخالد على نحو ما يقول الزمخشرى فى تفسير تلك الآيات الكريمة[1]: **(استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن ، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعراً قالوه فى توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ، ومدح الرسول (صلى الله علية وسلم) والصحابة وصلحاء الأمة، ومالا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب . ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة)**.

ومهما يكن من أمر. سواء كان ذلك لدى من قد فهم قول الله فى ختام سورة الشعراء، أو لدى من تدبر جلال وتمام المبنى والمغزى من أول الشأن إلى تمامه، أو لدى من كان ذا توجس أو تردد. فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو الذى لا ينطق عن الهوى لم يكن ليدع الأمر ليذهب اناس فيه مذاهب شتى ، ولكنه قد جلَّى الغمة ونفى الشبهة حين جاءه الشاعر (كعب ابن مالك) خائفا بعد أن أنزل الله تلك الآيات الكريمة فى شأن الشعراء، فقال: يا نبى الله ـ إن الله تبارك وتعالى قد أنزل عز وجل فى الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه ؟ فقال النبى عليه الصلاة والسلام[2]: **(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)** .

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وسيرة ابن هشام ، وجمهرة أشعار العرب لابن دريد ، والموشح للمرزبانى ، والشعر والشعراء لابن قتيبة.

(١) انظر الكشاف: تفسير سورة الشعراء، ص ١٣٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده .

وقد كان هذا إيمانًا منه بدور الكلمة وأهمية دور الشعر فى الحياة العامة وخطورة أمره فى المواقف الخاصة والأمور المهمة ، وهل من أمر أهم من أمر دين الله وتبليغ دعوته التى يبين دستورها أن أفواه البشر يخرج منها مالا يقل أثراً عن أثر الحديد والنار، إذ يقول عز من قائل[1]: (**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**).

وإذا كان القرآن قد قرر خطورة الكلمة وشدة أثرها حين تقال أوتصاغ فى الشر ـ فإنه يقرر إن كلمة الخير أقوى من كلمة الشر ولذا فإن النصر حليفها، حين قرر ذلك فى الاستثناء فى ختام سورة الشعراء مقرئا ذكر الخير وقوله على ألسن الشعراء بعمل الصالحات من الذين آمنوا .

ولذا فإن رسوله (صلى الله عليه وسلم) وهو يذهب كل أثر للشك من نفس (كعب بن مالك) ورفاقه من شعراء الحق بحثهم على أن يشرعوا سيوف الشعر والحق فى مواجهة أعداء دين الله الذين لم ينفكوا مجتمعين متحزبين شاهرين ألسنتهم بأشعارهم وشعرائهم ظلما وبغيا وافتراء وإيذاء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذى علموه أميناً صادقاً طيباً ليناً خلوقاً يحاولون إرهابه وأصحابه، ولذا فإنه يقول لشعراء الحق من المسلمين[2]: " **والذى نفسى بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون من الشعر** ".

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

الفصل الثانـــي
قضية الإســـلام والشعر
(رؤيــة نقدية مجملة ـ غير مباشرة)

المبحـث الأول :
الشعر فى عهــد النبوة :

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)[1]:" **إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة** " فى حين كان أفلاطون " قد حط من مقام الشعر واعتبره تمويهًا وشيئاً مفسداً٠ ويرى أن الشعراء(لايصدرون فى الشعر عن حكمة)[2][3] ـ وليس الغرض التقليل من شأن هذه المقولة وغيرها مما يعمل على رقي الإنسان واستقامة سلوكه قولاً وعملاً، ولكن الغاية هى إنصاف منهج الإسلام فى قوانينه الكاملة ورؤيته الشاملة؛فقد روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة بعضها يُعزَى إلى نصرة الشعر،والبعض الآخر يعزى إلى الغض منه، ولعل أشد ماروى فى بغض الشعر قوله (صلى الله عليه وسلم)فيما رواه أبو هريرة أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال:[4]" **لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً**"٠

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده والبخاري فى صحيحه .

(٢) راجع: أفلاطون د٠ عبد الرحمن بدوى ، راجع ص ٢٤١ ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٣م، وراجع كذلك: أفلاطون فى الفضيلة، ت د ٠عزت قرنى، دار قباء للنشر والطباعة، القاهرة ٢٠٠١م.

(٣) سوف أتناول الحديث فى هذا الشأن بالتفصيل لاحقاً من خلال مقارنة عن حرية الشعراء بين حضارة اليونان ومنهج الإسلام.

(٤) رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن عن أبى هريرة وغيره ، وقد رفضت السيدة عائشة رضى الله عنها هذه الرواية: وقالت : إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودمًا خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به) راجع الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشى٠ وفى رواية ابن عدى عن=

ومهما قيل عن قصة هذا الحديث الشريف ومناسبته ـ فإن القصد من بيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) جلى يذكرنا به قوله (صلى الله عليه وسلم) عن الطعام الذى لا يستغنى عنه كائن حى حتى تستمر حياته التى قدرها الله تعالى فقد قال (صلى الله عليه وسلم) عن الطعام حين تمتلئ به المعدة : " **ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة آكل فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه**"

وهكذا فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم ينه عن الطعام البتة، ولكنه نهى عن الإسراف فى مخالفة الأسلوب الصحى والمنهج الطبى، وإلا فإن الطعام اللازم للجسم إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، وكذلك فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يشأ أن ينهى عن الشعر مطلقاً، وإنما نهى عن الإسراف والشطط فى استخدامه والخروج عن الإطار الذى حدده الإسلام والمنهج الذى أرساه له.

فالأصل أن يكون الشعر نافعاً مثل الطعام والشراب شريطة أن يتبع منهج الله تعالى إذ يقول : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)(١).

إن الحقيقة الجلية أن موقف الإسلام من الشعر هو الموقف الأمثل والأكمل الذى لا يتفاضل عليه فيه منهج، ولعمرى ما أجمل وأعدل قول الرسول (صلى الله عليه وسلم)(٢) : "**الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه**"، بل ما ألطف وأنجع بيانه (صلى الله عليه وسلم) وهو يراه علاجاً للضغائن والبغضاء فيذهب بالعداوة، ويجمع الأفراد فى منتديات

جابر: " لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً أودماً خير له من أن يمتلئ شعراً مما هجيت به" ـ هامش دلائل الإعجاز ، ص ١٦٧ ، ط ثالثة ، مطبعة المدنى ، القاهرة.

(١) سورة الأعراف آية : ٣١.

(٢) دلائل الإعجاز : ص ٢٠ . تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ١٩٩٢م.

الأدب ، فيتلاقون يتنسمون المودة والحب، ويتمتعون على أنغام قيثارته، يقول (صلى الله عليه وسلم)[١]: **"الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في نواديها، وتسل به الضغائن من بينها"** .

ولم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعيداً عن شعراء عصره الذين صح إسلامهم، وزادوا عن الإسلام بشعرهم، ودافعوا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما أذاعوا مدائحهم التى تمتدح منهجه ودعوته فى قرب وحميمية شفيفة وهو الذى قربهم إليه ووجههم وشجعهم ومنحهم، إذ يسمع منهم ويفاضل بينهم على نحو ما أورد بن هشام فى السيرة النبوية من تفضيله (صلى الله عليه وسلم) الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن على العباس بن مرداس[٢] فى العطاء أو على نحو ما نجد فى حديثه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : **" أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى"** .

وعلى الرغم من أن كثيراً من الناس لايكادون يذكرون من شعراء الإسلام فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا الثلاثة المشهورين: "حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فإن الحقيقة أن الشعراء الذين كان لكل منهم دور ما فى خدمة الإسلام ولهم شعر فى مختلف الأغراض غير ما ذكرنا منهم: عدى بن حاتم الطائى ، وحميد بن ثور الهلالى ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، وأيمن بن خريم الأسدى ، وأعشى ابن مازن ، والأسود بن سريع ، والحارث بن هشام ، وعمرو بن شاس، وضرار بن الأزور، وخفاف بن ندبة ...

---

(١) العمدة: ج١ : ص ١٥ ٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل ٠ لبنان ١٩٨١م.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٤٩٤ ٠ ط مصطفى البابى الحلبى ٠ طبعة ثالثة.

وأحمد بن زهير ولبيد بن ربيعة وضرار بن الخطاب ، وأبو ذؤيب الهزلى ، والشماخ بن ضرار وغيرهم كثير • وبعض هؤلاء الشعراء كانت لهم رواية عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وبعضهم كان لهم صحبه به (صلى الله عليه وسلم) ، وكانوا جميعا

ـ كل حسب قدرته ومكنته وموهبته الشعرية ـ دعاة للإسلام وألسنة حق مسنونة ضد أعداء الحق والخير والسمو • وفى هذا من الجلاء ما فيه حيال موقف الرسول من الشعر والشعراء[1] فى عصره (صلى الله عليه وسلم)•

لقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يتذوق الشعر وينقده فقط، وإنما كان يستنشد القويم منه ويتمثل به •

ففى البخارى (باب من استنشد الشعر وما سمعه النبى (صلى الله عليه وسلم) منه وما تمثل به، وبيان أنه بمنزلة الكلام)•

ـ ومن استنشاده (صلى الله عليه وسلم) الشعر مارواه عمرو بن الشريد عن أبيه قال: استنشدنى النبى (صلى الله عليه وسلم) شعر أمية بن أبى الصلت، فأنشدته مائة قافية فقال: " إن كاد ليسلم "[2] •

---

(١) ما أجمل قول د/ هدارة فى شأن تعداد الشعراء فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم):
ويضل بنا القصد لو أننا عددنا الشعراء الذين مدحوا الرسول أو أنشدوه شعرهم ، فكتب السير وطبقات الصحابة مليئة بهم مثل أسماء بن إياب الجرمى ، والأسود النهدى، والأسود الثقفى وأوس بن معزاء، وبجير بن بجرة •• وقد أشار ابن حجر العسقلانى إلى كتاب : الصحابة الذين مدحوا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ولو وجد هذا الكتاب لطالعنا شعراً كثيراً كان يزخر به عصر الرسول ـ راجع دراسات ونصوص فى الأدب العربى ـ ص ٩٦، ٩٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وكذا مسلم فى كتاب الشعر.

ـ وأما عن تمثله (صلى الله عليه وسلم) بالشعر فقد روى المقدام بن شريح عن أبيه قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: أكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتمثل بشئ من الشعر؟ فقالت: كان يتمثل بشئ من شعر عبد الله بن رواحة ، ويتمثل ويقول: **لله ويأتيك بالأخبار من لم نزود**"[1] .

ـ **إن موقف الرسول الأمين من الشعر لا يقف عند حد تذوقه ونقده، واستنشاده وتمثله، ولكنه قد تجاوز ذلك بإنشاد القويم منه** على نحو مانجده فيما رواه أنس بن مالك فى حال بناء المسجد النبوى ، فقد روى أنس بن مالك فى صحيح مسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:[2] **اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة**

وقد أورده "ابن هشام" فى حديثه عن بناء المسجد النبوى إذ كان المسلمون يرتجزون وهم يقومون بأعمال البناء[3]

وفى رواية: كانوا يرتجزون ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم وهم يقولون ذلك ٠ (متفق عليه)٠

كذلك كان ينشد (صلى الله عليه وسلم) يوم الأحزاب وهو ينقل التراب حتى وارى بياض بطنه ، على نحو ما رواه البراء بن عازب رضى الله عنه قال: رأيت النبى (صلى الله عليه وسلم) ينقل معنا التراب ويقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى.

(٢) صحيح مسلم : ج٢، ص ١٧٢ ٠ ج١٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام: ج١ ، ص ٤٩٦.

والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا[1]

ويرفع بها صوته ، وفى رواية: "رفع بها صوته أبينا أبينا" (متفق عليه)٠

وسواء صح ما قيل عن نسب الأبيات السالفة لسلمة بن الأكوع أو عمه عامر ـ فإن الحقيقة التى لا مراء فيها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

كان يحب الشعر السامى الهادف ، لكنه لم يكن من طبيعته أنه يقرضه أو يبدعه أو يقصد إلى ذلك على نحو ما حاول بعض النقاد والباحثين أن يثبتوا له هذه الأبيات أو غيرها، وقد ثبت عنه يوم حنين أنه قال[2]:

" أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب" ٠

فهذا لا يعد شعراً ، " وإنما جرى ذلك على لسانه عفواً دون ارتصاد لنظمه أو احتشاد لصوغه"[3] ٠

إن دستور الإسلام الذى أنزله الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ليكون بلاغاً للناس أجمعين لم يكن ليعد له شئ فى منهاجه السماوى الأمين، ولذا فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يستمع لإنشاد الشعر لم يكن ليغيب عنه قول الله جل وعلا[4]: (**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**)، فلقد كان (صلى الله عليه وسلم) لايستمع للشعر لمجرد متعته الفنية ، وإنما كان يستمع، ثم يعلق على مايسمع ويعقب ، أو يوجه أو يصحح ، أو يشجع أو يقدِّر

---

(١) السابق : ج٢ ، ص ٣٢٨.

(٢) الرحيق المختوم : ص ٤٢٣ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ٢٠٠١م.

(٣) راجع البيان النبوى: ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٣٦.

جميل القول منه ، ومن ذلك قول النابغة الجعـدي حين أنشد أمام النبى (صلى الله عليه وسلم) قائلا:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ٠٠ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم):" **إلى أين يا أبا ليلى ؟**" فقال: إلى الجنة يارسول الله بك ، فقال النبى (.صلى الله عليه وسلم):" **إلى الجنة إن شاء الله**" فلما انتهى إلى قولـه :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال النبى (صلى الله عليه وسلم):" **لا يفضض الله فاك**" فعاش مائـة وثلاثـين سنة لم تنغض له ثنية[1] ٠

- إن سماحة رسول الإسلام لتقدم للعالم كله النموذج الأسمى فى تقدير الفن الشعرى ومبدعيه ، إذ يستمع لشعر عدوه ويقدَّر له دون إكراه أو رفض أو منع، بل إنه ليتقبل النافع منه ويتمثل به ٠

فقد كان " أمية بن أبى الصلت " فى هجائه من أشد الناس عداوة للرسول (صلى الله عليه وسلم)،وهو الذى نزل فيه قول الله عز وجل[2]: (**واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ عنها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) ٠

---

(١) تنغض بكسر الغين وضمها أى تتحرك، راجع الشعر والشعراء لابن قيتية ، ج١، ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وكذا دلائل الإعجاز ، ص ٢١ ، ٢٢ .
وراجع أبيات الشعر فى ديوان النابغة الجعدى : ص ٧١ ، ٨٥ ، جمع وتحقيق وشرح د٠ واضح الصمد، دار صادر ٠ بيروت ١٩٩٨م.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٥ ، ١٧٦ .

فقد كان أمية هذا يهجو الرسول (صلى الله عليه وسلم) هجاء مقذعاً، ويرثى قتلى المشركين فى بدر،ومع ذلك كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستنشد قويم شعره الذى منه:

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك إلا ألما[1] ؟

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول عنه : **"آمن لسانه وكفر قلبه"** ولو كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يكره الشعر لأعرض عن شعر أمية هذا على الأقل ، وهو حاقده اللدود[2] .

لقد من بلغ تقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) للشعر أن يستمع للغزل منه من شاعر كان قد أهدر دمه حين هجاه وهو على الكفر،فلما جاءه معتذراً،ووقف ينشده شعره سمع له،وتقبله وعفا[3] عنه، ومنحه من فضله وحبه وسماحته، على نحو ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) مع" كعب بن زهير" فى لاميته المشهورة التى اشتملت على عديد من فنون الشعر، ما بين غزل عفيف،واعتذار لطيف ومدح شريف للرسول الحليم والقرآن الكريم والصحابة

---

(١) د/ محمد رجب البيومى : البيان النبوي ص ١٠٠ ط أولى ، دار الوفاء والنشر بشأن أمية بن أبى الصلت ـ والتوزيع ، المنصورة ، ١٩٨٧م ـ وراجع الحديث فى رواية البخارى وقول النبى فيه :" إن كاد ليسلم ".

(٢) السابق نفسه ، وراجع الشعر فى الديوان: ص١١٤، جمع وتحقيق وشرح د٠ سجيع الجبيلى، دار صادر ١٩٩٨م .

(٣) لم يكن كعب هو الشاعر الوحيد الذى عفا عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقد عفا عن كثير غيره حين امتثلوا واعتذروا ٠ ومنهم : عبدالله بن الزبعرى الذى أتعب نفسه فى هجاء المسلمين بمكة ثم جاء بعد الفتح نادماً ضارعاً ... فعفا عنه الرسول وصان دمه بعد أن سرت أهاجيه فى الآفاق ـ راجع : البيان النبوى ـ ص ١٠٠ .

الميامين ، فى ألوان من الوصف الدقيق، كما اشتملت على حكم جارية،ومعانٍ سامية سارية، وألفاظ تجمع بين السهولة فى غير تدنٍّ، وبين الجزالة فى غير توعُّر،والأداء يجمع بين الخفة والرشاقة وبين التؤدة والوقار.

يقـول فى مطلعهـا[1] :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـول

ويقول كذلك :

هيفاء مقبلة عجـزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولاطول

ويقول فيها معـتذراً:

نبئت أن رسول الله أو عدنـى والعفو عنـد رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعـيظ وتـفصيل

ويقـول فيها مادحاً:

إن الرسول لنور يستضاء بـه مهند من سـيوف الله مسلـول

ويقول عن الصحابة:

شـم العرانين فى الهيجا لبوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل

إن موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الشعر فى كـل مـا سـبق عرضه من نماذج لم يكن ليعنى أن تقبُّل الرسول للشعر قد يعزى إلى حـال السرور والمنادمة مثلما كان يُصْنَع مع الشعراء سابقا، وإنما هو ليمثل رؤية الإسلام السامية التى لاترفض المقبول من ذلك، غير أنها لتعلو فوق ذلك إذ ترى كلمة الشعر أمانة ومسئولية ورسالة يستمع إليها فى كل حال، حتى لو كان ذلك فى ظـروف أسْر أو

---

(١) ديوان كعب بن زهير: ص ٨٤ ومابعدها ، تحقيق وشرح د٠ محمد يوسف نجم، دار صادر ، بيروت ١٩٨٥م ٠.

قتال على نحو ما كان فى يوم (بدر)، حيث كان أبو عـزة الجمحـى الشـاعر مملقـاً مقتراً، وذا عيال أطفال ، وقـد أُسرِ فى بـدر كـافراً ، فـأتى رسـول الله واستشـفعه بأبيات قال فيها:

ألا أبلغا عنى النبى محمـــــدا ٠٠ بأنك حق والمليك حمـيد
وأنت امرؤ تـدعو إلى الرشد والتقى ٠٠ عليك من الله الكريم شهـيد

فعفا عنه وأطلقـه ، وغفر له ما أسلفـه"(١) ٠

ـ ومن ذلك أيضا فى يوم (حنين)

ما ذكره زياد بن طارق الجشمى ، قال: حدثنى أبو جرول الجشمى ، وكان رئيس قومه ، قال : أسرنا النبى (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته:

امنُنْ علينا رسول الله فى حُـرَم ٠٠ فإنك المرء نرجوه وننتظـــر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ٠٠ يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
إنا لنشكر للنعمى إذا كفـــرت ٠٠ وعندنا بعد هذا اليوم مدّخـــر

فذكَّرتـــه حين نشأ فى هوازن وأرضعوه، فقال عليه الصلاة والسلام:" أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم " ، فقالت الأنصار: وما كان لنا فلله ولرسوله ، فردَّت الأنصار ما كان بين أيديها من الذرارى والأموال"(٢)

---

(١) البيان النبوى: ص ٩٩ ، ١٠٠ ، على أن أبا عزة عاد إلى حاله الأولى من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم واستنفار المشركين وتحريض قريش على قتال النبى (صلى الله عليه وسلم) فأسر يوم أحد ، فخاطب النبى بمثل خطابه الأول، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : لا تمسح عارضيك بمكة، تقول : خدعت محمداً مرتين " ثم قتله صبراً ، وقال : لايلسع المؤمن من جحر مرتين " ويروى:" لا يلدغ من حجر مرتين" ـ راجع كتاب العمدة لابن رشيق ، ج١ ، ص ٦١.

(٢) العقد الفريد: ج٥ ، ص ٢٨٠ ، تحقيق أحمد أمين ورفاقه ، دار الكتاب العربى ، بيروت ٠.

إن موقفاً أميناً للنبى (صلى الله عليه وسلم) نحو بيت واحد للشاعر الفحل " لبيد بن ربيعة" قد اشتمل على حكمين نقديين متباينين ليبرز بجلاء موقف الإسلام الأمين من الشعر والشعراء ، إذ هو لا يرفض عين الشعر مطلقاً على أساس أنه فن غير مقبول بصفة عامة فى الإسلام ، كما أنه لايرفض شعراء بعينهم لأنهم غير مسلمين ، أو يقبل أى شعر من الشعراء المسلمين لمجرد أنهم مسلمون. فحين قال (لبيد) :

ألا كل شئ ما خلا الله باطـــل

أثنى عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقال له : صدقت ، بل يروى أنه (صلى الله عليه وسلم) وصف قول (لبيد) السابق فقال:" أصدق كلمة".

غير أنه لما سمع الشطر الثاني من البيت نفسه حيث يقول (لبيد):

وكل نعيم لا محالة زائـــل

قال له النبى (صلى الله عليه وسلم): " كذبت .. نعيم الجنة لايزول"(١).

---

(١) الاستيعاب: ج١ ، ص ٢٢٨ ، وانظر كذلك ـ فى هذا الشأن ـ اللطائف والظرائف للثعالبى ص٦٠ ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، د ت.

المبحث الثانـي
الشعر فى عهـد الخلافـة الراشـدة

أولاً: الشعر فى عهد أبى بكر الصديق :

رأينا فيما سبق كيف أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يوجه حسان بن ثابت أشعر شعراء عصر النبوة إلى أبى بكر رضى الله عنه لعلمه " أنه أعلم قريش بالأنساب والأيام"[1] " .

وهذا يعنى أنه لديه من الروافد ما يعمل على أن يزيد شاعرية حسان جلاء ومضاء، وهو الأمر الذى يجعله عاملاً مساعداً ليؤدى الشعر أثره المنشود.

وفى مظان الأدب ومصادره القديمة ما يؤكد أن أبا بكر كان يتمثل الشعر فى الإسلام ويحفظ منه، بل إنه كان يرويه فى الجاهلية ، كما أنه كان ينسب[2] إليه قرضه أحياناً ، وهذا كله مما يدل على مدى إلمامه وبصره به، على نحو ما أثر عنه تجاه رأية فى شعر النابغة الذبيانى بالنسبة لشعراء عصره حيـــث قال[3] :

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج٢ ص ٣١٠.

(٢) نسب إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ بعض الأشعار. ومما نسب إليه فى موقعة بدر فرحاً بنصر الله ومهنئاً لبلال على قتله أمية بن خلف ذلك الذى كان قد أسرف فى تعذيب بلال لإسلامه:

هنيئاً زادك الرحمن عزاً فقد أدركت ثارك يا بلال

وإذا كان البعض قد أثبت له هذا الشعر وغيره، كما أن البعض قد أنكره وغيره ـ فقد آثرت ألا أقف أمام ذلك طويلاً، لما ذكره ابن هشام فيما روى عن عائشة ـ رضى الله عنها أنها قالت :" كذب من أخبركم أن أبابكر قال بيت شعر فى الإسلام" ـ راجع العمدة، ج١ ، ص ٣٢ . وكذا الاستيعاب ، ج١ ، ص ٢٦١.

(٣) المزهر للسيوطى : ج٢ ، ص ٤٧٩.

(هو أحسنهم شعراً،وأعذبهم بحراً،وأبعدهم قعراً)٠ وهذا النقد الموجز قائم على عدة أمور:

١- الإجمال والنظرة العامة بما ينبئ عن معرفة بشعراء العصر وأغراض شعرهم وتنوع أبنيتهم ٠

٢- استخدام التفصيل فى الحكم النقدى دون إلقاء أحكام عامة ذات طابع جزافى٠

٣-الاهتمام بمغزي الشعر ورسالته دون الاهتمام بالشكل والسطحية٠

٤- تقدير الجانب الجمالى الممتع شريطة أن يكون عذباً نقياً،على أن يكون الشعر على قدر من الجمال لا ينفك عن الأدب والجلال الذى يمتع المشاعر ويسمو بالفكر ٠

إن هذه الرؤية النقدية الرائعة تنبئ بأن أبا بكر رضى الله عنه كان يملك رصيداً أدبيا وشعرياً ومعرفياً قد زاده الإسلام صقلاً وهو ينهل (من مصدر ثقافته الجديدة من إعجابه بنظم القرآن الكريم وما جاء به من معان بعيدة عن التقرير، وما أصلته فواصله من جميل الإيقاع الصوتى الذى يحدث أوقع الأثر فى النفوس)[1] ٠

---

(١) د٠ أحمد فؤاد الغول: الشعر فى الإسلام ص ٢٩.

لقد نشط الشعر فى عهد أبى بكر نشاطا كبيراً ، سواء كان ذلك فى حروبه مع المرتدين ، أو غزوات الفاتحين ، وقد نتج عن ذلك شعر كثير، ومنه قول الحطيئة بعد أن ارتد وقتاً:

أطعنا رسول الله إذا كان بيننا فيا عجباً ما بال دين أبى بكر
أيورثها بكراً إذ مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر(١)

وهذا شعر بادٍ عليه مدى مافيه الشاعر من خلط وتصارع بين أثر الدين إذ لايزال يذكر رسول الله ودينه، وبين سطوة عصبية الجاهلية التى أنسته أن الدين لله وإلى ما شاء الله لكل العالمين حتى بعد موت الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة أجمعين وليست الرسالة ميراثا لأبى بكر رضى الله عنه ولا لغيره ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء والمرسلين ٠

وفى مقابل هذا الشعر وشعرائه المرتدين يأتى شعر الحق والثبات وقوة اليقين لدى شعرائه المؤمنين الواثقين يصب على المرتدين بقوة الحق وعصمة الدين سوط عذاب يؤدى بهم إلى الهلاك ٠

فهذا أوس بن بجير الطائى يقول فى مواجهة الردة والمرتدين:

وليت أبا بكر يرى من سيوفنا وما تختلى من أذرع ورقاب
ألم تر أن الله لارب غيره يصب على الكفار سوط عذاب(٢)

---

(١) الشعر والشعراء : ص ٢٣٨. وراجع الشعر فى ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، تحقيق د٠ نعمان محمد أمير طه ، مكتبة الخانجى ١٩٨٧م٠ وسوف تجد تغييراً فى بعض الكلمات٠ .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابه ، ج٢ ص ٥٥ ٠ ابن حجر العسقلانى مطبعة السعادة .

ولم يكن أمر نشاط الشعر فى عهد أبى بكر قاصراً على حد ما كان فى حروب الردة،ولكن كان للشعر نشاطه ودوره، كذلك فى الفتوح وغيرها من أحوال تستدعى قرائح الشعراء التى تجود به دائما،

ثانياً : الشعر فى عهد عمر بن الخطاب:

حينما نأتى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه نجده سائراً على الدرب نفسه الذى سار فيه سلفه الصديق وهو يتمثل منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيال الشعر والشعراء، كما كان يعى أن للشعر أثراً جليلاً لدى أمة أثر عنه قوله السائر فى فنها الشعرى الأثير: "لقد كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أفضل منه"(١)، إذ كان يرى أن "الشعر من خير صناعات العرب، فهو جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ ، وتطفأ به الثائرة ، ويتبلغ به القوم فى ناديهم"(٢).

ويبلغ اهتمام عمر رضى الله عنه بالشعر وتقدير دوره وأثره فى الحياة حداً يتضاءل أمامه دعاة المحتفلين بالشعر والفن فى زماننا هذا، فهل من اهتمام يقارب درجة من الاهتمام العملى بالشعر فى كل أمر على نحو ما قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه فى كتابه طبقات فحول الشعراء:" كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر"(٣).

ولذا فإنه يبلغ به التأثر بدور الشعر فى الحياة أن يحبس قارضه حين يحيد عن إطار المنهج الإسلامى الأمثل على نحو ما صنع رضى الله عنه مع الشاعر

---

(١) العمدة : ج١ ، ص ٢٧.

(٢) العقد الفريد : ج٥ ، ص ٢٨١.

(٣) البيان والتبيين، ج١، ص٢٤١ ، وكذا اللطائف للثعالبى:ص ٦٠، ٦١.

المشهور "الحطيئة" بعد هجائه المقزع المفحش" للزبرقان بن بدر"[1] وقد يستغل بعض دارسى الأدب المتعصبين أوالطاعنين على الإسلام مثل هذه الحادثة ليشنعوا على الإسلام بدعوى أنه يضيق على الإبداع والشعراء،غير أن الحق ينعى عليهم تعصبهم وعبثهم إذ لم يتمثلوا منهج الإسلام كاملاً ، فمثلهم كمثل الذى قال :

ما قال ربك: ويل للألى سكروا بل قال ربك ويل للمصلين !

لأن الله سبحانه وتعالى لم يقل للمصلين ذلك على سبيل الإطلاق ، وإنما قال تعالى:(**ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**)[2].

وكذلك لم يحبس عمر رضى الله عنه " الشاعر الحطيئة "لأنه يرفض الشعر مطلقاً، إذ إنه بعد أن اعتذر الشاعر، وتعهَّد ألا يعود إلى مثل ذلك من الشعر المقذع ، وقد أخذ عمر الحق للمظلوم، حيث يروى أنه رضى الله عنه قد كبَّده

---

(١) راجع قصة هذا الهجاء فى كتاب: الشعر والشعراء ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ من قصيدة الحطيئة السينية التى يقول فيها عن الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ٠٠ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وكان عمر رضى الله عنه قد أرسل إلى حسان بن ثابت ، فسأله عن ذلك ، فقال: لم يهجه، ولكن سلح عليه ٠ فحبسه عمر، وقال: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين ٠ وفى هذا درس مثالى رفيع راقٍ فى الحكم على الفن الشعرى ومبدعيه بالاستعانة بأهل الخبرة والثقة ، وإن كان لا يقل خبرة وبصيرة عنهم رغبة فى درء الحدود بالشبهات ـ راجع كذلك : العمدة ، ج١ ، ص ٥٢.

(٢) سورة الماعون : آية ٥.

غرامة مالية،مما يدل على الأثر العميق والخطير للشعر الذى كان سبباً رئيساً كذلك فى العفو عن "الحطيئة "حين اعتذر قائلاً[١].

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حُمْر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمـــر

لقد كان عمر رضى الله عنه يعى أن للشعر أثـراً جليلاً ، ولـذا قـال لـه الحطيئة لما رأه من إدراكه مرامى شعره التى قـد لا يتنبه لهـا كثـيرون[٢] : " أنـت والله يا أمير المؤمنين أعلم منى بمذاهب الشعر " .

لقد ضيق الإسلام باباً وفتح أبواباً، بـل إن الإسـلام لم يـرد إن يضـيق، وإنما أراد أن يغلق باب الشر والفحش والسوء الذى ينال من الإنسان ولا يمنحه ، وربما كانت هناك بعض المؤسسات الخبيثة مانحة دعاة التحلل والعبث والتفسخ ـ تحـت دعـاوى مريضـة ومـزاعم لا تـنطلى إلا عـلى ضـعاف الهمـم والنفـوس أو أصحاب الأهواء والنزوات الساقطة ـ وعوداً وصكوكاً لنيل الصـدارة والانتشار غير أن ذلك مهما تكاثر وأعجب فمثله مثل الزبد قـال تعـالى :(**فأما الزبـــد فيذهـب جفاء**)[٣].

لو أن قارئاً ما قرأ البيتين السابقين للحطيئـة دون أن يعـرف قصـتهما ـ لمـا خطر بباله أن يكونا من قصيدة للحطيئة الشاعر الهجـاء ، ولكنـه مـنهج الإسـلام الذى جعل الشاعر يعبر تعبـيراً سلسـاً بعيـداً عـن الصـلف والجفـوة والإعتـام ، ويرسم صورة غضة لطيفة للطفولة ، ويقدم تصويراً آخر للشاعر إذ يعانى ظلمات

---

(١) الشعر والشعراء، ج١ ، ص ٢٤٥ ٠ والعقد الفريد : ج٥ ، ص ١٩٢ ٠ وراجع الشعر فى ديوان الحطيئة : ص ١٩١ ، ١٩٢.

(٢) العمدة: ج٢ ، ص ١٧٠.

(٣) سورة الرعد: آية ١٧.

السجن ، ثم بعد ذلك تجد التماساً رقيقاً ممزوجاً بالدعاء وبالسلام ، ثم ينتقل إلى مدح الخليفة بكونه إماماً عادلاً يمتد مدحه إلى مدح الخليفة أبى بكر الصديق الذى اختار مثله ليلى مقاليد المسلمين الذين يمتد المدح إليهم كذلك إذ أقروا اختيار الصديق، وقد كان مردود ولايته الراشدة شاملاً للرعية جميعهم جلية آثاره إذ يقول فى القصيدة ذاتها:

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى بالبشر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثر[1]

رأينا كيف يتعامل عمر مع الشاعرالمسلم ويعالج شعره فى حالى الإساءة أوالاستقامة بموضوعية وتقدير أمين،وتبلغ موضوعيته النادرة أنه يقدر الشعر الحكيم حتى ولو كان جاهلياً، فيمنح قائله ما يستحقه من التقديرعلى نحو ما كان يلقب (زهير بن أبى سلمى) بأنه" قاضى الشعراء"، ويتعجب من قوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث ٠٠ أداء أو نفار أو جلاء

ويقول : الحق لا يقطعه إلا الأداء أو النفار ـ وهو الحكومة ـ أو الجلاء ـ وهو العذر الواضح ـ ويروى * يمين أو نفار *

وهذه الثلاث على الحقيقة هى مقاطع الحق كما قال ، على أنه جاهلى، وقد وكدّها الإسلام[2].

لقد بلغ من تقدير عمر للشعر أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال لى عمر بن الخطاب : أنشدنى قول زهير ، فأنشدته قوله فى هرم بن سنان:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا

---

(١) ديوان الحطيئة : ص ١٩٢.

(٢) العمدة ، ج١ ، ص ٥٥ ، ٥٦.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعـــدوا

فقال عمـر: "ما كان أحبَّ إلى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"(١). إلى هذا الحد يبلغ إيثار وتأثر عمر بالشعر ولو كان هـذا الشعر جاهلياً، غير أنه يمتدح الفضائل وأصحاب الفضل والمكارم فى شعر يسمو على الشمس فى عليائها وضوئها ودفئها وفضـلها، ولـذا فإنـه يتمنـى لـو أن هـذا الشعر ومثله يمتدح به بيت النبوة، فهو بيت النور والهدى والطهر والنقـاء الـذى تسمو فيه الأرض إلى أن تبلغ السماء.

إن عمر ليقدم للعالم كله رؤية الإسلام النقدية للفن الشعرى سامية فـوق ماعداها، إذ تستوعب رسالته فى كل عصر وتقدَّر السامى منه أبد الدهر، على نحو ما كان منه فى الرد على القول ببلى حُلل هرم لزهير جزاء مدحه حيث قال عمر: " لكن ما كساه أبوكِ هرماً لم يبله الدهر، وقال [عمر رضى الله عنه] لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدنى ما قال فيكم زهـير ، فأنشـده ، فقـال: لقـد كـان يقـول فـيكم فيحسن ، قال: يا أمـير المـؤمنين إنـا كنـا نعطيـه فنجـزل ، قـال عمـر: ذهـب مـا أعطيتموه وبقى ما أعطاكم"(٢).

ولذا فإن عمر جعل يفضل زهيراً على غيره من الشعراء فقـد أثر عنه أنـه قال عن زهير بن أبى سلمى(٣): (هو أشعر الشعراء ٠٠٠ كان لايعاظل بين الكلام ، ولايتبع حوشيه ولايمدح الرجل إلا بما فيه)٠

---

(١) العقد الفريد : ج٥ ، ص ٢٩١ ٠ وراجع البيتين فى ديوان زهير برواية أخرى:ص ٢٦.
(٢) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج١٠ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١.
(٣) العمدة ، ج١ ، ص ٨١.

وفى هذا رؤية نقدية جديدة تعمل على توجيه الشعراء لأن يرتقوا بالشعر، وهذه الرؤية تنهض بدعامتين أساسيتين :

١ـ تقدير دور المتلقى مع مراعاة مبدأ مهم حتى يكون للكلمة الشعرية أثرها حين تنبع من فكر نزيه ورؤية تتحلى بالصدق وإلا فإن المتلقى إذا فقد الثقة فى المبدع فلن يكون لإبداعه قيمة ٠

٢ـ التركز على عملية الصياغة لما لها من دور ذى خطر جليل فى فهم الشعر وتذوقه والانفعال مع مبدعه دون افتعال، بالبعد عن المعاظلة والغرابة والحوشية والإلغاز، فإن مثل هذه الأمور تؤدى إلى النفور وعدم التواصل بين المبدع والمتلقى مثلما نجد كثيراً من قراء الشعر الجاهلي لبعد عصرنا عن العصر الذى أبدع فيه، فإنهم حين يتم لهم تفسير مفرداته وتراكيبه يحبونه ويتمتعون بما فيه من وجوه الإبداع الشعري الساحر ٠

أما ما نراه من شعراء عصرنا الذين يذهبون فى شعرهم المعاصر إلى مذاهب شتى من الغموض والتغريب والتهويم فى أجواء من الإعتام والعبث فقد أدى ذلك إلى نفور المتلقين والإحجام عن تقبل مثل هذا الشعر غير المفهوم اللهم إلا ما صدر منه عن موهبة أصيلة تستطيع أن تعبر بصدق وحميمية عن عصرها المتطور كما أنها لا تفتأ تتصل بعصورها السالفة الأصيلة .

ثالثاً : الشعر فى عهد عثمان بن عفان :

أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد كان له مواقف من الشعر لانريد أن نعتسف القول محاولين أن نثبت له ما لم يكن من شأنه ، كما أننا لانقبل أن يحسب

عليه ما ليس فيه؛ فقد ثبت أنه ـ لتقديره دور الشعر وأثره وخطره ـ قـد حبس شاعراً هجَّاء مقـذعاً متفحشاً هو " ضابئ بن الحارث البرجمى" إذ كان قد تعرض لقوم من " بنى جرول بن نهشل " بالنيل فى هجائه الخبيث من عرض أمهم التى رماها فى كلب يسمى " قرحان" ولم يزل فى حبس عثمان رضى الله عنه حتى مات(١).

" وكان استعار كلباً من بعض بنى جرول بن نهشل فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه، فغضب ورمى أمهم بالكلب .. قال:

فيا راكباً إما عرضتَ فبلغـنْ ثمامة عنى والأمور تـدور
فأمكم لا تتركوها وكلبكـم فإن عقوق الوالدات كـبير
فإنك كلب قد ضريت بما ترى سميع بما فوق الفراش خبير

فأستعدوا عليه ثمان بن عفان ، فحبسه ، وقال :" والله لو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حى لأحسبنه نزل فيه قرآن ، ومارأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك" . ومثل هذا قول زهير ، ورمى قوماً بفحل إبل حبسوه عليه".

إن مثل هذا الشعر أو هذا الفحشى لا يقبله إنسان مهما كانت ملته أو جلدته. ولتجاوزه كل غاية فى الزراية والفحش فإن عثمان رضى الله عنه قد تقالّ أى عقوبة للشاعر أمام فظاعة جنايته بشعره لدرجة جعلت الخليفة المسلم الحيى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ج١ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

العفّ يرى أن ذلك لو حدث إبان نزول الوحى على الرسول(صلى الله عليه وسلم) لنزل فيه قرآن حكيم من الله القوى القاهر فى شاعر فاجر[١].

إن مثل هذا الشعر وهذا الشاعر لا ياسى أحد على تحريمه وتجريمه وعقابه وفراقه ، حيث يبلغ به الاجتراء درجة محاولته قتل الخليفة الحيي الكريم عثمان ابن عفان ، بل إن هذا الشاعر ليتبجح إذ يعلن ذلك قائلاً:

هممتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتنى .. تركتُ على عثمان تبكى حلائله[٢]

وقد نسب إليه رضى الله عنه بعض أبيات من الشعر فى رثاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما نسب إليه بيتان فى فضائل النفس والصبر الذى يجلب بعد العسر يسراً "٠

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضربها الفقر
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها لكائنة إلا سيتبعها يسر[٣]

ومهما قيل عن نسبة هذه الأبيات ، وموقف عثمان رضى الله عنه من الشعر والشعراء الذى لم يكن على المستوى الذى عليه حاله فى عهد " أبى بكر " و"

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن ما سبق أن ذكره ابن قتيبة أن ؟ زهيراً " له قول مثل قول الحارث ٠٠ هو قول غير صحيح ، حيث ذُكر فى الهامش تعقيباً على هذا الأمر من د٠ محمد يوسف نجم، ود٠ إحسان عباس ـ شكر الله لهما ـ بأن القصيدة التى استدل بها ابن قتيبة تتحدث عن راع ٠ لا عن فحل إبل كما زعم ابن قتيبة ـ راجع الشعر والشعراء ، هامش ص٢٦٨.

(٢) الشعر والشعراء ، ج١ ، ص ٢٦٨.

(٣) العمدة ، ج١ ، ص ٣٤.

عمر " رضى الله عنهما ، فإن لكل عهد ظروفه ، كما أن لكل واحد من خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) طبيعته التى لا تجعل من مواقفه مواقف مكرورة بالنسبة لمواقف صاحبيه ، وإنما لا بد أن تكون له مواقف جديدة ، على أنه مع ذلك " لا يقبل أن يقال : بأن عثمان قد أعاق مسيرة الشعر أو ضيق على الشعراء وهو يعلم تماماً موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبيه أبى بكر وعمر من الشعر والشعراء ، ويعلم أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان يقرب شعراء الدعوة إليه ، ويحثهم على الشعر الذى ينافح عن الإسلام والمسلمين "[1].

رابعاً : الشعر فى عهد على بن أبى طالب :

وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد تواترت الروايات التى تثبت له مزيد اهتمام بالشعر وتقدير دوره فى أطوار الحياة المتغيرة، فقد كان ينشد منه ما يروقه ويتمثل به، ويحفظ قدراً من جيده وقيِّمه ، كما كان يرتجله فى عفويةٍ قد تقتضيها الحاجة ، وإن " حُمل فيه الكثير عليه ، ولكن لابد أن بعض هذا الشعر صحيح النسبة إليه "[2].

ومما ينسب إليه رضى الله عنه أنه كان إذ برز للقتال ينشد ، ويقول:

أى يومى من الموت أفر يومى لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

---

(١) د/ صلاح عبد التواب: موقف الإسلام من الشعر، ص ١١٩، مطبعة السعادة ١٩٨٨م .
(٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : ج١ ص ١٧٦ .

وكان إذا سار بأرض الكوفة يرتجز ويقول:

يا حبـذا السير بأرض الكوفة أرض سواء سهلة معروفة[١]

ولقد كان على بن أبى طالب يقدر الشعر الجيد ، ويـرى أنـه يرفـع منزلـة قائلـه حتى وإن كان سـائلاً ، فقـد كـان رضى الله عنـه ـ لكرمـه ـ يمـنح عـلى السـؤال، ويكافئ على الشعر، ويجلّ قائله ، ويحله محلاً رفيعاً، حيث يروى أن أعرابيا وقـف عليه فقال:" إن لى إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فـإن قضـيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمـدت الله تعـالى وعـذرتك ٠٠ فقـال على: يا قنبر؛ ادفع إليه حلتى الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتنى حُلة تبلى محاســـنها ٠٠ فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحي ذكر صاحـــبه ٠٠ كالغيثُ يُحي نداه السهل والجبـــلا
لا تـزهد الدهرَ فى عُرف بدأت به ٠٠ فكل عبد سيجُزى بالذى فعـــلا

فقال على: ياقنبر،أعطه خمسين ديناراً؛أما الحلة فلمسألتك،وأما الدنانير فلأدبك،سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:"**أنزلوا الناس منازلهم**"[٢]

وقد كانت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه مواقف نقدية تدل على بصر ثاقب وقريحة ذكية تعمل على تقويم حال الشعر والشعراء والارتقاء به فى حدود المنهج الذى أرساه الإسلام كى تظل كلمة الشعر خالدة ، حيث أثر عنه أنه قال[٣]:

---

(١) العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٨٧.
(٢) العمدة ، ج١ ، ص ٢٩.
(٣) السابق : ص ٤١ ، ٤٢.

(الشعر ميزان القول) فقد جعله المعيار الأمثل فى قـول البشر، ألا ليت شعرى ، فأى تقدير هذا الذى يخلد الشعر إلى مثل هذا الحد ؟!!

ومن منطلق هذه الكلمة الخالدة التى تعرف للشعر قدره كانت رؤية " على ابن أبى طالب " النقدية الرائعة تسبق الأيام قبل أن يعرف النقاد نظرية الطبع والإلهام أو غيرها من النظريات مثل الفن للفن أو الفن للحياة ٠٠ حيث قال[1]: (لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية واحدة فجروا معاً علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل ومن هـو ؟ فقال : الكندى، قيل: ولم ؟ قال: لأنى رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة) .

ـ ولشد ما أسف أن تتطور الظروف فى عهد هذا الخليفة الفذ، وتنسرب الأحداث ـ لأمر فتنة مقتل الخليفة الحيى السابق عثمان بن عفان ، تلك الفتنة التى حيكت بإحكام ـ مسارب شتى ، حيث يصطرع المسلمون ، وينحى الشعراء بالشعر مناحى أخرى غير التى كان الإسلام قد مهدها وذللها لينطلق الشعر إلى غايات أسمى ، فبدأت تطل العصبية البغيضة من جديد فى شعر طفق شعراؤه يتوجهون وجهات سياسية متنازعة قد تصل أحياناً إلى حد الشطط ، على نحـو

ما يتمثل فى هجاء النجاشى المفحش فى أهل الكوفة أنصار على رضى الله عنه . يقول النجاشى:

إذا سقى الله أرضا صوب غادية ٠٠ فلا سقى الله أرض الكوفة المطرا

ثم يقول عن أهلها:

---

(١) العمدة، ج١ ، ص ٢٨.

والسارقين إذا ماجن ليلهم•• والتاليين إذا ما أصبحوا السورا[١]

- إن هـذا الشطط الذى رأيناه فى شعر الهجاء يكاد ينسحب على معظم فنون الشعر فى تلك المرحلة العسيرة التى زخرت بقدر هائل من المكائد والدسائس والكذب والتزيد ، وهى أمور بدت واضحـة فى الشعر المعبر عن ذلك كله • وهذه الأمـور كان الإســلام قد قضى عليها بدعوتـه الكريمة إلى كل خير بالحق والصدق•

" ذلك أن عنصر الصدق أساس أخلاقـى ، والإسـلام فى موقفـه من الشعر يستهدف الغاية الأخلاقية التى لا تتفق مع العبارة التى كانت شائعـة بين العرب أعذب الشعر أكذبـه"[٢].

على أن الشعر الذى اعتسف فيه القول كثير من الشعراء آنذاك يظل عدد منهم على عهدهم فى شعرهم مؤمنين بقيمـة الصدق فى جوهر الفن الشعرى على كل حال، على نحو ما يقول حسان بن ثابت[٣]:

وإنما الشعر لب المرء يعرضه •• على المجالس إن كيسا وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائلـــه •• بيت يقال إذ أنشدته صدقـــا

---

(١) خزانـة الأدبج٤ ، ص ٥٧.
(٢) دراسات ونصوص فى الأدب العربى : د• هدارة ، ص ١٣٣.
(٣) العمدة ، ج١ ، ص ١١٤ • وديوان حسان ، ص ٢٧٧.

ـ الفصل الثالث ـ
قضية الإسلام والشعر
(رؤية نقدية مفصلة ـ مباشرة)
المبحث الأول
الرد على القول بأن الشعر بابه الشر

إن قول الأصمعى: " بأن الشعر بابه الشر، فلا يقوى فى الخير" ، وإن كان يبدو مسلماً به لدى البعض ، إذ تغذيه شواهد من الواقع وتقويه دون كبح له كما فى شأن العصبيات والفخر الجاهلى والغزل المكشوف على نحو ما يرويه بعض المؤرخين من أن بعض نساء بنى عامر(١) كن يطفن حول الكعبة عاريات أو حاسرات يرددن أشعاراً فيها إغراء وإثارة ، وكان ذلك بالطبع مدعاة لأن تثار الغرائز من مكامنها ـ غير أن الرد على قول (الأصمعى) ما أيسره، فليس شعر الشر وحده هو الذى يوصف بالقوة ، وإنما يقوى الشعر فى أى غرض بقوة أثره من خلال سلامة وانسجام تركيبه، ودقة تعبيره، وبراعة تصويره، وصدق عاطفته ذات الدور الأهم فى عملية الإبداع الشعرى التى يبدو أنها قد سقطت من تقدير الأصمعى فى حكمه على الشعر من خلال قوته فى مجال، وضعفه فى مجال آخر دون التعويل على مآل الشعر وأثره فى أى مجال.

ومع التسليم بوجود شعر قوى فى الجاهلية فى الغزل ، وأنه تهيأ له من المذكيات ما لم يتهيأ له فى صدر الإسلام استناداً إلى وجود شئ مما ذكر فى القصة السالفة ، فهل كان ذلك موجوداً فى كل يوم ؟ وإن وجد لدى فئة جاهلية ما فهل كان يُقْبَل من عامة فئات العرب وقبائلهم، وهم من اشتهروا بشدة الغيرة على

---

(١) راجع للدكتور أحمد شلبى : المجتمع الإسلامى : ص ٣٤.

النساء وشدة الحفاظ على الشرف والحرمات لدرجة دونها كل غاية ، ولذا فإن ذلك يعد عهداً وميثاق شرف فى أعناق الرجال، وهم يورثون ذلك للأبناء

على حد قول شاعرهم: إذ يتحدث عن الخيل والنساء :

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنيـنا
على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أوتهونا
أخذن على بعولتهن عهدا إذا لاقوا كتائب معلمينا(١)

وهـل تتمثل قوة الشعر فى قوة ألفاظه وأساليبه دون التعويل على المعنى والأثر؟ ، ونحن لا نجرد الشعر الجاهلي من ذلك ، ولكن ألم يتحقـق لشـعر الإسـلام مـن القوة ما تفوَّق به شعراؤه على شعراء الشرك على نحو مانجـد لـدى (حسـان بـن ثابت) إذ يرد على شعراه الشرك مفحماً لهم متفوقاً عليهم قائـلاً:(٢).

لسانى صارم لا عيب فـيه وبحرى لا تكـدره الـدلاء

فقد جمع فى بيت واحد بين الصرامة وقوة الأثر وبين الالتزام لحدود اللياقة حتـى فى الهجاء دون إقذاع أو شطط ٠ هذا من ناحية، ثم هو من ناحية أخرى ينفى عـن شـعره أن ينالـه أذى أو أن تـؤثر فى بحـره سـهام شـعراء الشرك الواهنـة الزائفـة٠ ولكون الخير أبقى فإن شعره الأقوى أثراً صار مثلاً٠ والنـاس يقولـون:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزرونى: ص ١٣٢ من معلقة عمر بن كلثوم ـ والبيض الحسان: النساء٠ وقد كانت العرب تشهد نساءها الحروب ليبلى الرجال البلاء الذى يحقق لهم النصر والفخر ويجنبهم الفشل والعار بسبى الحرم٠.

(٢) ديوان حسان: ص٨ وما بعدهـا.

فشركما لخيركما الفداء٠ وهو عجز بيت لحسان ، قال: أتهجوه ولست له بكف٠ ٠٠ فشركما لخيركما الفداء"[١] ٠

- وهل مقياس قوة شعر الغزل تتمثل فى الاهتمام بالشكل والمظهر والحديث عن المفاتن والأعضاء فى جسد المرأة ، أو أن الاهتمام يكون بالجوهر مع تهذيب حديث الأعضاء الذى لم يرفضه الإسلام ؟ إذ لم يكن فيه تكشُّف ولا تبذُّل ولا استثارة ، ولكن يكون الحديث فى إطار من التعفف والتلطف وتصوير المرأة فى صورة تجمع بين جمال خلقتها وجمال أخلاقها حتى تبدو الرغبة إليها يغلفها الحياء وإبداء ألوان من التمنع والتدلل المقبول٠

على نحو ما نجد فى قول كعب بن زهير أمام النبى(صلى الله عليه وسلم) :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ٠٠ متيم إثرها لم يفد مكبـــول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ٠٠ إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وقوله:هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ٠٠ لا يشتكى قصر منها ولا طول"[٢]

- ويضاف إلى ما سبق أن القول السابق للأصمعى فيه إغفال لدور شعراء الشرك فى ذلك الوقت ، فلم يكن كل الشعراء قد أسلموا ، بل إن شعراء الشرك كانوا يمثلون أغلبية فى بداية أمر الدعوة ، فهل كان شعراء الشرك وهم على شركهم يقولون شعرهم فى الخير؟، أوأنهم على كثرتهم وعاداتهم التى بلغت فى الشر كل مبلغ فى مواجهة الدين الجديد ورسوله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) السابق : ص٩ ٠ والشعر والشعراء ج١ ، ص ٢٢٦.

(٢) راجع القصيدة فى ديوانه ، واقرأ عنها فى دلائل الإعجاز :ص٢٢ ، ٢٣ ، وكذا الشعر والشعراء: ج١ ، ص ٨٩ ، ٩٠.

وأصحابه رضى الله عنهم ، حيث راح شعراؤهم يهجون الرسول وأصحابه ونساءه وبناته ويقذعون فى ذلك ويفحشون ويفخرون ويتوعدون، على نحو ما نجد فى قول ضرار بن الخطاب بن مرداس فى حال هزيمتهم فى بدر: إذ يندب قتلى المشركين ويتوعد بالثار والانتقام قائلاً[١]:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنـى النجـار إن كان معشـر أصيبوا ببدر كلهم ثم صابـر
فإن تـك قتلى غودرت من رجالـنا فإنا رجال بعدهـم سنغـادر
وتردى بنا الجرد العناجيح وسطكـم بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر[٢]
ووسط بنى النجار سوف نكرهـا لها بالقنا والدارعين زوافـر

ألا يعد هذا نموذجاً قوياً لشعر الشر لدى شعراء الشرك فى صدر الإسلام؟ إن من أسباب قوته إظهار تبصُّر[٣] قائله أحوال٠ دهره وتصبره على خطوبه، غير أنه يعبر عن ذلك مصوراً نفسه وقومه فى حالة تحاول تجاوز آثار الهزيمة إذ تتوعد بالثار والكر على أعدائهم المسلمين والانتقام منهم.

فأجابـه كعب بن مالك قائـلاً:

عجبت لأمر الله والله قـادر على ما أرد ، ليس لله قاهـر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشـراً بغوا، وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنـا بأجمعها كعب جميعـا وعامـر

---

(١) ديوان ضرار بن الخطاب، تحقيق د٠ فاروق أسليم، دار صادر، ١٩٩٦م٠
راجع ص ٦٠ وما بعدها.
(٢)تردى: تسرع ، والجرد: الخيل العناق القصيرات الشعر، وهى صفة محببة أثيرة فى الخيل٠
العناجيح : الطوال السريعة، والثائر: الباحث عن ثأره .
(٣) هذا من وجهة نظر الشاعر٠ وإلا لو كان تبصُّره حقاً لما قال الذى قاله من هذا الشعر .

وفينا رسول الله ، والأوس حولـــه له معقل منهم عزيز وناصـــر
وجمع بنى النجار تحت لوانـــه يمشون فى الماذى والنقع ثائـر[1]
فلما لقيناهم وكل مجاهـــد لأصحابه مستبسل النفس صابـر
شهدنا بأن الله لا رب غـــيره وأن رسول الله بالحق ظاهـر
بهن أبدنا جمعهم فتبـــددوا وكان يلاقـى الحين من هو فاجر
فكبّ أبو جهل صريعاً لوجهـــه وعتبة قد غادرنـه وهو غـادر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوعـى وما منهم إلا بذى العرش كافـر
فأمسو وقود النار فى مستقرهـا وكل كفـور فى جهنم صائـر[2]

- إن إمعان النظر فى شعر كعب فى النموذج السابق ليكشف عن مدى قـوة هـذا الشعر، إذ يستمد قائله قوته من إيمانه بالخالق القادر القاهر الذى لا يغلب ، وهـو إذ يستمد قوته من ربه فإنه لا يخشى لقاء الأعداء مهما كانوا أقوياء مجتمعـين عـلى البغى ، فإن قوتهم هباء، وبغيهم على أنفسهم الصاغرة أمام نفوس مؤمنة واثقة فى نصر الله ، محبة لرسوله الأمين الداعى إلى خيرى الدنيا والآخرة. وقـد رأى جنـد الشرك وشعراؤه عاقبة إفكهم وإثمهم وقد لاقوا وذاقوا فى بدر مالا قوا وذاقوا ثم إن مصيرهم فى الآخرة أن يكونوا وقوداً لنار جهنم وبئس المصير . إن هذا الشـعر يكفيه من الشرف شهادة النبى (صلى الله عليه وسلم) إذ يقـول: **" والـذى نفسـى بيده لكأنما تنضخونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر "**[3] .

---

(١) الماذى : الدرع.
(٢) ديوان كعب بن مالك . تحقيق مجيد طراد، دار صادر ، ١٩٩٧م ، راجع ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٣) أخرجـه أحمد فى مسـنده.

- إن وصف الشعر الجاهلي بالقوة أمر لا ينكر ، لكن هل يعنى ذلـك أن يوصف الشعر الجاهلي كله بهذا الوصف ؟ وهل كان الشـعراء الجـاهليون كلهـم كذلك ؟ وهل القوى شعره منهم فى فن ما أو أكثر من فنون الشعر يوصف بذلك فى عامة فنونه ؟ ثم ألم يحكم النابغة للخنساء على حسان فى الجاهلية؟ وهـذا يعنـى أن هناك تفاوت بين الشعراء الجاهليين فى ميزان القوة والضـعف، كـما أنـه يعنـى بالتبعية التفاوت بين الأشعار قوة وضعفـا.

- وأى قوة شعرية فى الفنون الشعرية التى تتحلى بـالقوة فى مجـال الفخـر بعد النصر فى ساحات القتال تقف أمـام قـوة شـعر شـعراء إسـلاميين يجاهـدون ويقولون الشعر حتى الرمق الأخير،وهم يحرصـون عـلى المـوت شـهداء حِـرْص الأعداء على حياة، وقد سجل التاريخ ذلك شعراً خالداً فى غزوة مؤتة

على لسان مولى النبى (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة إذ يقول وهو يقاتل حتى ينال الشهادة :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها[1]

يخر زيد شهيداً ، ويأتى (عبد الله بن رواحة) يقاتل ويجاهد ويجود بنفسـه المؤمنة ولسانه الصادق الشاعر، فتفوز نفسه بالشـهادة ويجـود لسـانه بشـعر يعـد لصدقه وشهرته شعاراً ومثلاً يحتذيه المجاهدون المجتهدون إذ يقـول:

يا نفس إلا تقتلى تموتـى هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيـت إن تفعلى فعلهما هديـت[2]

المبحث الثانـي
الـرد على القول: بأن الشعر إذا دخل فى الخير لان

---

(١) راجع سيرة ابن هشام : ج٤ ، ص ٧ وما بعدها ، وراجع كذلك العمدة لابن رشيق ص٣٧ • حيث نسب هذا البيت إلى جعفر بن أبى طالب.
(٢) سيرة ابن هشام، ج٤ ، راجع ص ٧ وما بعدها .

وأما عن القول: بأن الشعر إذا دخل فى الخير لان ، فيا ليت شعرى، إنى لأرى إن الرد على هذا القول ربما كان أيسر من سابقه ، بل لعلنا لانجد عناء فى البحث عن أشعار إسلامية جيدة فى باب الخير ، لأن الخير ليس له باب فى الإسلام ، وإنما له أبواب. ولكن قبل أن نقوم بذلك فإنا نرد على ذلك بالشعر الجاهلى الذى لم يكن كله ولا حتى معظمه فى الشر بل كان منه ماهو فى الخير ، وهو غير قليل ، وأبلغ دليل على ذلك شعر زهير بن أبى سلمى الذى اشتهر بأنه حكيم الشعراء لحكمته ونزعته الخيرية ، كما كان صاحب إحدى أشهر قصائد الشعر العربي على الإطلاق، حيث كان صاحب واحدة من المعلقات فى الشعر الجاهلى .

وهـل يخفى أمر ، النابغة الذبيانى صاحب الاعتذارات المشهورة فى العصر الجاهلى؟ وهو من كانت تضرب له القباب ليفد إليه الشعراء فيحكم بينهم، فهل كان اعتذاره فى الخير أو فى الشر ؟ وأى ألفاظ الشعر وأساليبه يناسب ذلك ؟ .

هـل الشدة هنا أو الليونة هى الأنسب والأوفق ؟ وأى عاطفة هنا تؤثر القوية أو الرقيقـــة ؟.

تأمل قوله: **فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع**[1]

وقوله: **حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهـب**[2]

ثم تأمل قول زهير عن رفضه الشر وإيثار السلم على الحرب: [1]

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى: ص ٨١ ، تحقيق وشرح كرم البستانى، دار صادر، بيروت ، لبنان.
(٢) السابق : ص ١٧ .

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ٠٠ تبذل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ٠٠ رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيدان وُجدتما ٠٠ على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما ٠٠ تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما: إن ندرك السلم واسعا ٠٠ بمال ومعروف من القول نسلم

ثم تأمل شعر الخير فى الإسلام من خلال قول الحطيئة الذى كانت ليونته وكان تلطفه أقوى أثراً من قوة أثر هجائه الحاد الذى ألقى به فى غياهب السجن، ثم أدى به شعره اللين ـ إذ يعترف بما اقترف ، ويعتذر عنه ـ إلى أن يخرج من سجنه بعد أن عفا عنه الخليفة القوى فى الحق الفاروق عمر بن الخطاب ، حين قال الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حُمْر الحواصل لا ماء ولاشجر[٢]

---

(١) ديوان زهير: ص ٧٨ ، ٧٩ ٠ والمعلقات السبع، شرح الزوزنى، دار ابن زيدون ، بيروت.
(٢) الشعر والشعراء، ج١ ،ص٢٤٥،وراجع تحليلاً لهذا البيت مع أبيات أخرى بهذا البحث .

المبحث الثالث

الرد على القول: بأن حسان سقط شعره فى الإسلام

إن الإسلام ليقدم للناس ميزاناً جديداً فى القوة، فلم تعد القوة هى قوة المبنى مهما بدا من ضخامته وفخامته، وإنما هى قوة التمكن وشدة الأثر، وقد صدق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول :" **ليس القوى عندى بالصرعة، ولكن القوى هو الذى يملك نفسه** ... ".

ولذا فإن الشعر فى الإسلام قد يبدو فى نظر البعض هيناً ليناً، غير أن إمعان النظر ليبدى مدى قوته وشدة تأثيره وما ذلك إلا لتمكن قائله وصدق عاطفته، وثقته بموهبته وإلهامه،على نحو ما نجد فى قول عبد الله بن رواحة:

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم .. فينا النبى وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يخلبنا .. حى من الناس: إن عزّوا وإن كثروا[1]

ولله درّ من قال عن شعر ابن رواحة فى مواجهته شعر الشرك وأهله: "وكان أهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا، وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة"[2].

ثم تأمل نفاذ بصيرته فى لين شعره لدرجة تمنحه رضا النبى (صلى الله عليه وسلم) ودعاءه له بالتثبيت حين قال:

فثبّت الله ما آتاك من حسن .. تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

---

(١) العمدة، ج١، ص ٢١٠.

(٢) الأغانى ، ج٤ ، ص ١٣٨ ، وسيرة ابن هشام ، ج٤ ، ص ٧ وما بعدها.

إنى تفرَّسْت فيك الخير نافلة ٠٠ الله يعلم أنى ثابـــت البصـــر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله ٠٠ والوجه منه فقد أزرى به القـدر(١)

وأما عن القول : بأن حسان كان فحلاً فى الجاهليـة ، فلـما جـاء الإسـلام سـقط شعره ، فلعل فى الكلام السابق إشـارة تـرد عـلى هـذه الفريـة بموضـوعية ودون تعصب .

إن فحولة شعر حسان فى الجاهلية لا تكذَّب ، غير أن علوه بالشعر إنما كان فى الإسلام ، إذ إنه لم يكن صاحب معلقة من معلقات الشعر الجاهلى، كما لم يكن فى شهرة النابغة أو زهير، أو امرئ القيـس، وإن كان شاعراً مجيداً ، غير أنه فى الإسلام قد مُنِح من الروافد ما جعله يتفوق على غيره من شعراء الشرك ويبزُّهم، ويتمكن من إفحامهم وإسقاط شعرهم من خلال توجيه الرسول له أن يتعلم ما يعمل تغذية قريحته ، وتشجيعه ، وبيان قوة تأثيره، حتى نال من التفوق والشرف فى ظل الإسلام ما لم ينله شاعر فى جاهلية أو غيرها، ويكفيه شرفاً أن ينال من الشرف ما يطاول السماء بتأييدها له بروح القدس، إذ ينطلق لسانه الشعرى منافحاً عن الله ورسوله (صلى الله عليه وسلـم) حتى " "شفى واستفى(٢)" ، وإذا كان النابغة فى قبته قد حكم أن شعر حسان دون غيره فى الجاهلـــية فإن

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ، ج٤ ، ص ٧.

(٢) فقد أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال لحسان بن ثابت :" إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله" ٠
ـ كما روى أحمد فى مسنده عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ،وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى".

الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد بنى له منبراً فى مسجده وشهد له شهادة لا تنطــق عن الهوى ، ويكفيه كذلك شرفاً لقبه الخالد بأنه شاعر الرسول .

تأمل شاعريته الفذة الحاضرة دائماً لمواجهة كل الظروف، إذ يأمره الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى عام الوفود أن يردَّ على شاعر بنى تميم الزبرقان بن بدر الذى قام مفاخراً فقال :

نحن الكرام فلاحى يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع[1]

ثم يقول: **فلا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع**

فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع

وما إن فرغ الزبرقان من قصيدته حتى قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحسان : يا حسان قم فأجب الرجل فيما قال، فقام حسان فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع[2]
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
ثم يقول: أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره فيما يحب لسان حائك صنع[1]

---

(١) البيع : أماكن العبادة .
(٢) الذوائب : السادة الأشراف، وفهر: الجد الأعلى لقريش.

فإنهم أفضل الأحياء كلهـــم إنْ جدَّ بالناس جدُّ القول أوشمعوا[٢]

فلما فرغ حسان بن ثابت من قصيدته قال الأقرع بن حابس ـ وهو أحد وفد بنى تميم ـ : وأبى إن هذا الرجل لمؤتى له[٣] ... ثم إنه كانت هناك أشعار أخرى مـن الزبرقان بن بدر رد عليها أيضا حسان بن ثابت فلما فرغ القوم أسلموا[٤].

فأى الشعر اذن سقط؟ ـ إذا كانت الحكمة تقول:" والحق ماشهدت به الأعداء" ـ فإن شعر حسان يكفيه شهادة أعدائه الذين اعترفوا ـ رغم تفوق شاعرهم فى فخر يكافئ قدرهم ـ أنهم لا قبل لهم بهذا الشعر الجامع المانع، السهل الممتنع، وهذا الشاعر الملهم المؤيد بروح القدس ، إذ ينافح عن الله ورسوله بقلبه الطاهر ولسانه الماهر وذهنه الحاضر وشعره الفائق كل شعر غيره من شعر الشر مهما كانت قوته.

ـ وأما القول بالاستدلال على سقوط شعر حسان فى المراثى ، فقـد يكـون ذلك مقبولاً على أساس أن ذلك رأى نقدى فى شعر حسان فى المراثى فليس شرطاً أن يتفوق الشاعر فى كل الفنون، وأن الشعر صناعة يجيـدها الشـاعر ويجـود فيهـا حسب حالته ومزاجه إذا رغب أو رهب استناداً إلى القول النقدى المشهور فى ذلك ، غير أنه لا يمكن كذلك إغفال مثل تلك الأقوال النقدية آنذاك من أن " أصعب الشعر الرثاء ، لأنه لا يعمل لرغبة ولا لرهبة "[٥]

---

(١) صنع : حاذق ماهر .

(٢) شمعوا: مزحـوا.

(٣) مؤتى له : موفق ملهم.

(٤) راجع سيرة ابن هشام: ج٤ ، ص ٥٧ وما بعدها.

(٥) العمدة ، ج١ ، ص ١٢٣ .

ولـذا فإن الفحول من الشعراء الذين ذكرهم "الأصمعى" فى الجاهلية من أمثال امرئ القيس ، وزهير ، والأعشى ، والنابغة إنما اشتهروا فى غير شعر المراثى على نحو ما شاع فى كتب الأدب عن أشهر شعراء الجاهلية بأنهم : "امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب"، والنابغة إذا رهب ، مع التسليم بفحولة هؤلاء الشعراء إلا أنه كان من الإنصاف أن يأتى لنا بشعراء تفوقوا فى الفن نفسه الذى استدل به حتى تستقيم الرؤية النقدية .

ـ وإذا كنا لا ننكر شأن الشعر ولاالشعراء الجاهليين الذى اشتهروا بفن المراثى فى الجاهلية ـ فإننا لا نقبل من ناقد مثل "الأصمعى" أن يسقط من حساباته وتقديراته ظروف كل عصر وعاداته وتقاليده وتعاليمه التى تختلف من عصر لآخر، ويكون لها دخل فى ظروف الميلاد أو الموت، تلك الطقوس التى قد تختلف من إقليم لآخر فى العصر الواحد، فهل كان يريد من حسان أن يذكر فى مراثيه الإسلامية حديث اللطم والعويل وشق الجيوب والعديد فى مجتمع عرف الحياة حقاً والموت حـقاً وآداب كل حال والرضا بقدر الله فى كل حال دون تحريم آلام الفراق والبكاء وفاء؟ لقد تغيرت النظرة للموت فى الإسـلام .

وقد يقول قائل: إن القول ببرود وتبلّد مراثى حسان ثابتة فى شعره حين قـال فى رثاء النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الدالية التى مطلعها :

بطيبة رسم الرسول ومعهد ٠٠ منير وقد تعفو الرسوم وتهمد(١)

ثـم يقـول :

عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبراً بها واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعـد

---

(١) ديوان حسان: شرح عبد الرحمن البرقوقى، ص ١٤٦ ، بيروت ، لبنان ١٩٤٦م
والرسوم : ما بقى من آثار الديار، وتعفو وتهمد: تزول وتبلى .

تذكرن آلاء الرسول وما أرى لها محصياً نفسى فنفس تبلّد[1]

حقا لقد ورد فى الأبيات السابقة لحسان جملة تصرح بتبلد نفس الشاعر فى حال رثائه إذ يحاول أن يعدد آلاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، غير أن من يبنى رأيه على جملة مقتطعة من سياق التجربة مكتملة لا يستقيم حكمه،لأنه لا مبرر للحكم على مراثى حسان فى وفاة النبى بصفة عامة بأنها فاترة متبلدة ـ وليست كذلك ـ إلا إذا كانت نظرة الناقد قد اختزلت الرؤية النقدية فى مثل هذه الجملة، وفى هذا ظلم كبير للشاعر،والقائل بذلك يكون قد فهم النموذج خطأ ، وإن تذوقه لشعر الشاعر لا يستقيم على أساس أن الشاعر قد صرح بتبلد نفسه ومشاعره إزاء فقد النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وإلا فهل نحكم على الشاعر المتبلد إذا صرح أنه حزين أشد الحزن بأنه قوى الإحساس صادق صدقاً فنياً فى رثائه .

ـ فى رأيى أن ما قاله حسان وصرح به يشهد له لا عليه ، لأنه إذا كان "العجز عن الإدراك عين الإدراك " ـ فإن الشاعر هنا يعلن من طرف خفى أنه مهما قال وعدَّد من آلاء النبى (صلى الله عليه وسلم) فلن يوفيه حقه، ولذا فإنه يعد بليداً إذا لم يستطع أن يوفى أفضل الخلق وأشرف المرسلين حقه، وأنى له ذلك هو أو غيره ؟ .

ثم تأمل قوله عقب ذلك وهو يقدم لنا صورة الشاعر الصادق فى رثائه إذ يبدو مفجَّعاً مثقلاً ملوَّعاً لهول رزية بكت لها الأرض والسموات ، حيث لم ولن تعدلها رزية أبد الدهر:

مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد

---

(١) سيرة ابن هشام ، ج٤ ، ص ١٣٤ ، وانظر القصيدة فى ديوان حسان: ص٣٨٦ ،٣٨٧.

وقوله: أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركتَ ياقبر الرسول وبوركـــت بلاد ثوى فيها الرشيد المسـدد
وبورك لحد منك ضـــمن طـيبا عليه بناء من صفيـح منضـد
وقوله: لقد غيبوا حلماً وعلما ورحمة عشية علـــوه الثرى لا يوسد
وراحو بحزن ليس فيهم نبيهـــم وقـد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السموات يومـه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلـت يوما رزيـة هـــالك رزية يوم مات فيه محمد ؟![1]

---

(١) السابق : ص ٣٧٨ وما بعدها .

المبحث الرابع :

الرد على القول بتشاغل العرب عن الشعر وروايته بالجهاد ٠

وأما قول "ابن سلام " بتشاغل العرب عن الشعر وروايته بالجهاد وغزو فارس والروم ، أو انصرافهم عنه بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ونظم القرآن الذى أدهشهم وأخرسهم ـ فإن أمر الجهاد فى الإسلام لا ينكر، وكذا إعجاز القرآن ، غير أن هذا لا يعدو أن يكون كلام حق لا أقول أريد به الباطل، ولكن الرؤية التى انطلقت منها تلك الاتجاهات لم تؤد بها إلى صواب الرأى .

وهذه الآراء غير الصائبة هى التى يستند إليها أهل الباطل والمطاعن ، وعلى كل حال فإن تجلية الغشاوة عن هذه الرؤى ليس بالأمر العسير ، حيث إن القاصى قبل الدانى يعرف أن العرب لم يؤمنوا جميعاً حتى يشغلوا بالجهاد والغزو من أول يوم ، بل ظل المؤمنون يمثلون الفئة القليلة من العرب لوقت غير قليل(١) وهم " بمكة " حتى هاجر منهم من هاجر إلى الحبشة هجرة أو هجرتين ، ثم انتهت هجرتهم إلى المدينة المنورة، ثم كانت غزوات بدر عام ٢هـ ، وأحد عام ٣هـ و"غزوة الأحزاب"٥ هـ وهم كذلك قلة ، ثم كانت غزوة مؤتة فى بداية المواجهات مع الروم عام ٨هـ فى أواخر حياة النبى (صلى الله عليه وسلم)، ومن

---

(١) ظل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قرابة ثلاث عشر سنة بمكة بعد نزول الوحى عليه أول مرة ، وحتى إذن الله تعالى له بالهجرة إلى المدينة المنورة ٠ وظل الرسول ومن معه كذلك يمثلون فئة قليلة حتى منَّ الله عليهم بفتح مكة عام ٨هـ حيث دخل الناس بعده فى دين الله أفواجاً٠ وإذا أضفنا سنوات ما قبل الفتح إلى بعضها لوجدناها تمثل حوالى عشرين عاماً تقريباً.

شعر "غزوة مؤتة" ما ينفى ذلك رغم الموقف الصعب الذى كانوا فيه على نحو ما سبق الاستشهاد به من قبل ، والذى منه قول عبد الله بن رواحة:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى يا أرشد الله من غاز وقد رشدا(١)

لقد فاق الشاعر المسلم فى فخره بجهاده كل فخر جاهلى ، فإذا كان الشاعر الجاهلى إنما يفاخر بما حقق من نصر - فإن الشاعر المسلم يقدم صورة جديدة للفخر ونفسية الشاعر المفتخر، حيث يبدو متفوقاً، والعاطفة منطلقة لا يعوقها عائق فى سبيل تحقيق فوز لن يضيع أبداً ، فالشاعر المسلم يعلم أنه فائز فائز: نائل إحدى الحسنيين : إما النصر وإما الشهادة .

إن الصحيح أنه مع تتابع أمر الجهاد والغزو والفتوحات والاختلاط والامتزاج بالأمم الأخرى قد عمل هذا على رقى الشعر وتفوقه وتفوق الأدب فى فنونه المختلفة حتى تحقق لنا حضارة تفوقت على كل الحضارات فى شتى المجالات.

لقد اهتم الإسلام بالشعر من أول الأمر، حتى بلغ الاهتمام به أن رسول الإسلام أجاز إنشاد الشعر فى المسجد الذى تقام فيه أهم أركان الإسلام، ولأهمية دور الرواية كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر حسان أن يتوجه إلى أبى بكر الذى كان يعد نسابة العرب ، كما أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يستمع إلى الشعر، ويستنشده، وينقده ، ويقوّمه أحيانا، ويفاضل بين الشعراء ويثيبهم عليه أحياناً مثلما صنع مع حسان ، ثم مع كعب بن زهير وغيرهما .

---

(١) الرحيق المختوم : ص ٣٩٥.

بل إن الرسول كان يهتم بالشعر الجيد حتى ولو كان جاهلياً أوحتى ممن عاصره ولم يؤمن به مثلما كان مع أمية بن أبى الصلت .

لقد كان الإسلام حافزاً لشأن الشعر والشعراء عامة، فقد اندفع شعراء الشرك يتبارون فى القول والنيل من الرسول ودعوته ومن آمن به ، وهو ما أدى إلى تحفيز همم شعراء الإسلام إلى أن يدافعوا عن دينهم ونبيهم وذويهم دون[1] أن يصرفهم عن قول الشعر فى ذلك، " فالإسلام لا يسلب أهله حق الدفاع عن أنفسهم فهجاء المسلمين للمشركين على سبيل الانتصار منهم إنما هو على أساس قوله تعالى : (**لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم**)[2].

ومن المعروف أن مكة فى الجاهلية لم تكن حافلة بالشعر والشعراء مثلما حفلت بهما باقى الأرجاء الأخرى فى الجزيرة العربية ، فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول والمسلمين ، لمعت فيها أسماء لشعراء كثيرين من مثل أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب الفهرى وأبى عزة الجمحى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى[3] الذين انبروا مع غيرهم يهاجمون ويهاجون الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ودينهم بكل ما أوتوا من سبل لاتراعى أى حرمات أو عواقب. ولم يجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بُدًّا من دحض أباطيل شعراء الشرك وكسر سهام شعرهم وإبطال أثره بالكلمة نفسها لفن الشعر القائم على حق الرد لشعرائه من خلال توجيه نبوى كريم ومداد

---

(١) راجع د. هدارة : دراسات ونصوص فى الأدب العربى ، ص ٨٥.

(٢) سورة النساء : آية ١٤٨ .

(٣) راجع تاريخ الأدب العربى ـ العصر الإسلامى د. شوقى ضيف ص٤٧ .

إسلامـــى لا يغـيض مـؤمنين بقـول ربهـم عـز وجـل: (**ولله العـزة ولرسـوله وللمؤمنين**)[١]، حيث ينهض من صحابة

الرسول(صلى الله عليه وسلم) من يحفز أنصاره ، ويستحثهم قـائلاً: مـا يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ ... فأذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لشـعراء المسـلمين فـأبلوا بلاء حسناً بلسان الشعر الذى فاق أثره حد إفحام شـعراء الشرك إلى طعـن النبـل والسهام ، ولذا أثنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليهم وعلى شعرهم قـائلا: " هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل "[٢].

- إن القول بهلاك الرواة بالموت والقتل وضياع الكثير من الشعر آنـذاك يعد دليلاً لصالح الإسلام ، وليس ضده ، لأنه يعنـى أن الإسـلام لم يحـرم الشـعر مطلقاً ، ولم يمنع الشعراء كذلك مـن القـول ، فقـد كـان هنـاك شـعراء كثـيرون مؤمنون وكافرون ، صالحون وفاسدون ، أقوياء وضـعفاء، مشـهورون وغـيرهم ممن لم يشتهروا، وإن منهم الموهوب وغيره دون أن يكون أمـر الشـعر قـد ضـعف بصفة عامة أو أصابه عقم يؤدى إلى دولته.

لقد عرف الإسلام شعراء كثيرين مشـهورين أمثـال الأعشـى المـازنى ولبيد والنابغة الجعدى وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة وكعب بـن مالـك وكعب بن زهير والحطيئة وأبو محجن الثقفى والشـماخ وأوس بـن بجـير الطـائى ومتمم بن نويرة وحميد بن ثور، ووضاح اليمن وغيرهم كثير.

وقصة كعب بن زهير تشهد وحدها على وجود شعر كثير لـه ولأمثالـه غالوا فيه وأسرفوا فى الهجو والشر أيما إسراف ومغالاة ضد الرسـول (صلى الله

---

(١) سورة المنافقون : آية ٨.

(٢) الحديث متفق عليه.

عليه وسلم) وآل بيته وأصحابه ، وكان لشعراء الإسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) منهم مواقف هام على أثرها "كعب بن زهير فى الجزيرة العربية بسبب ما اقترفه بشعره قبل إسلامه ، وقد كان بينه وبين أخيه "بجير" الشاعر قصائد كثيرة[١] بعضها فى الهجاء وبعضها فى العتاب والنصح ، ثم كان موقف إسلامه فى لا ميته المشهورة وعفو الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنه ومكافأته بالبردة الشريفة .

ومن شعر كعب قبل إسلامه لأخيه بجير:

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة .. فهل لك فيما قلتُ ـ ويحك ـ هل لكا؟
شربتَ مع المأمون كأساً روية .. فأنهلك المأمون منها وعَّلكا
وخالفت أسباب الهدى وتبعته .. على أى شئ ـ ويبَ غيرك ـ دلكا[٢]

فأجابه بجير قائلاً :

من مبلغ كعباً فهل لك فى التى .. تلوم عليها باطلاً وهى أحزم ؟
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده .. فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لاينجو وليس بمفلت .. من النار إلا طاهر القلب مسلم[٣]

ـ إن الأحكام النقدية العامة كثيراً ما يجانبها الصواب حين تغفل أهمية استقصاء النتاج، والإلمام بالمواقف والملابسات، واستقراء الآراء ، حيث تبنى

---

(١) راجع تاريخ الأدب العربى ـ العصر الإسلامى: د٠ شوقى ضيف ص ٨٤ وما بعدها.

(٢) ديوان كعب بن زهير ، ص ٣ ٠
والمأمون: الرسول (صلى الله عليه وسلم) ٠والنهل: الشرب الأول٠ والعلل : الشرب الثانى٠ ومعنى ويب غيرك: هلكت هلاك غيرك.

(٣) ديوان بجير بن زهير ، ص ٤ .

حكمها على بعض النتاج وتهمل أو تغفل بعضه الآخر، وتأخذ برأى واحد وتدع باقى الآراء، على نحو ما نجد لدى بعض النقاد من يعلن أن الشاعر

الفحل (لبيد) قد أقلع عن الشعر نهائياً بعد إسلامه حيث يقول :" حتى أن شاعراً فحلاً مثل لبيد أقلع عن الشعر تماما بعد أن أسلم بسبب احتفاله بالقرآن الكريم " [١].

ـ إنه بهذا يجعل هذا الرأى يبدو رأياً قاطعاً ، غير أنه فى حقيقة الأمر رأى مقتطع من رأى حاول صاحبه أن يستقصى رؤيته حيث يقول :" وأما لبيد فقد سكت عن الشعر احتفالاً بالقرآن الكريم ، وقالوا: إنه قال فى الإسلام بيتاً واحداً ، ولكن هذا القول مردود ، لأن فى ديوانه قصيدة يوصى بها بناته قبيل وفاته، وعاش فى الإسلام أكثر من أربعين سنة "[٢]، بل إن فى ديوانه من الشعر الذى يبدو فيه تأثره بالإسلام واضحاً ما يؤكد أنه قال شعراً فى الإسلام غير قليل[٣]، ومن ذلك قصيدته اللامية التى أنشدها بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين وفد عليه مع جماعة من قومه قائلاً فى مطلعها :

أتيناك يا خير البرية كلها لترحمنا مما لقينا من الأزل[٤]

ومن شعره فى رثاء أخيه إربد قوله:

وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا عاريات ودائع[٥]

---

(١) راجع كتاب الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ص ٩٢.

(٢) أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسى ، ص ١٠٥.

(٣) موقف الإسلام من الشعر : ص ٧٢.

(٤) ديوان لبيد بتحقيق د٠ إحسان عباس ، ص ٢٧٧.

(٥) السابق : ص ١٦٨.

المبحث الخامس :

الرد على القول بذبول الشعر فى الإسلام :

وأما القول بأنه "ليس أدل على ذبول الشعر بأننا لا نرى هنا ما كنا نرى فى العصر الجاهلى" ، فيا عجباً لمن يظل لا يرى فى غيز شعر الجاهلية مثيلاً ولا يرتضى به بديلاً! فى حين هو يغضى عن إشراق فجر عهد جديد جدير بأن يمعن النظر فى شعره، دون أن يظل مولياً وجهه شطر الشعر الجاهلى ، وكيف لمن يظل يوالى النظر فى جانب ويدع الآخر أن يوازن بينهما بحق وموضوعية ؟ وقد أغفل النظر فى جانب شعر عصر أمد شعراءه بمداد لم يتوافر لشعر العصر الجاهلى دون انتقاص لدوره وأثره العام فى حياة الجاهلية عامة .

- وإذا كان الماء فى الإسلام يمثل حياة كل شئ حى مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: (**وجعلنا من الماء كل شئ حى**)[1] فلقد أمد الإسلام شعر عصره بماء جديد ومداد طهور، إذ هو من جهة يعمل على تنقية هذا الفن من أدرانه وأقذاره، ويخلصه من سخائمه وسوآته ، إذ يرفض كل ما يسوء النفس، ويتدنى بالإنسان لغة وموضوعاً وقصداً ، وهو بهذا يعمل على تغذيته وترقيته من جهة أخرى.

---

(١) سورة الأنبياء ، آية رقم ٣٠.

وليت شعرى ! كيف لا يرى مثل هذا الشعر الإسلامى الذى قيـل فيـه مالم يقل فى غيره على مستوى بيت القصيد ؟ ، على نحو ما قيل: إن أبدع بيت قالته العرب هو قول أبى "ذؤيب الهزلـى" فى عينيته درة فن الرثاء:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُـرِدُّ إلى قليل تقنـع[1]

كما قالوا: إن أصدق بيت قالته العرب هو قول لبيـد:

ألا كل شئ ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[2]

وكذلك قالوا: إن أحكم بيت قالته العرب هو قول حسان بن ثابت :

وإن امرأ أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ماجنى لسعيد[3]

كما قالوا: إن أفخر بيت قالته العرب هو قول حسان كذلك:

ويوم بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد[4]

وتفصيل تنقيـة الشـعر وترقيتـه واسـتقامته عـلى عـوده فتيـاً جليـاً لغـة وموضوعاً : فعلى مستوى اللغة لفظا وأسلوباً وتعبيراً فـإن فى الإحالـة إلى واحـدة من قصائد شعرائه أمثال حسان أو لبيد أو أبى ذؤيب أو أحد الكعبين لغناء لكـى يرى من يريد ما فيها من ألفاظ جديدة عذبة نقية، وتراكيب وأساليب جديدة لينة وقوية ، وعبارات لطيفة ثرية فى عطائها، شريفة فى مقاصـدها، سـهلة لكنهـا غـير

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ، ص ٢٧٣.

(٢) السابق: ج٥، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣.

(٣) السابق: ج٥، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣.

(٤) السابق: ج٥، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣.

مبتذلة فخمة لكنها بعيدة عن التوعر والحوشية فى إطار لغة بليغة عذبة غنية بحديث شعرها عن القرآن الكريم وما فيه من آى الذكر الحكيم، ومدح الرسول الكريم، وتعاليم الدين القويم الداعى إلى الحق والعدل والحلم ومكارم الأخلاق، وسمو الإنسان بطهره وعفافه وتقواه، وعمل الصالحات والتزود من كل خير، والجهاد فى سبيل الله من أجل الفوز بجنته وما فيها من نعيم وخلود وخيرات حسان. وترك السوآت.. حيث تجد فيها ما لاتجده فى عدة قصائد جاهلية.

وأما على مستوى الأغراض فلعل فى الاستهلال بفن الغزل ما يفتح شهية من يرى أن الشعر فى عصر صدر الإسلام قد ضعف أو ذبل أو عقم، وهو ما يعنى أن شعر الغزل أشد ضعفاً وذبولاً وعقماً، إلا أنه رغم توافر قصائده ومقطوعاته لدى عديد من شعراء الإسلام فإننا نذكّر من تناسى ذلك أنه حسبه فقط أن يعود إلى لامية "كعب بن زهير" بمقدمتها الغزلية التى أنشدها بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم). والمقدمة تعد وحدها قصيدة غزلية من أبرع وأمتع وألطف ما قيل فى فن الغزل الذى يمتع الروح والنفس، على نحو ما أبدعه فى مستهلها إذ يقول:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وماسعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولاطول[1]

ثم تأمل قوله فى تعبيره عن مدى لوعته من تمنُّعها وتعفُّفها إذ يقول:

يا ويحها خلة لو أنها صدقت ما وعدت أو لو أن النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٤، ص١٠٨.

فما تـدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغـــول[١]

وتأمل كذلك بكارة الصورة مع رشاقة الأسـلوب وهـو يصـور الحبيبـة غير ضعيفة، وأنها تملك من الأساليب ما يجعلها تثير فى نفسه عديداً من الهواجس، فتزيده تعلقا بها وهياما، ومعاناة جميلة مقبولة صارت مـثلاً فى عـدم تحصـيل شـئ منها حين قال :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل[٢]

ـ ولعل فى الحديث عن فن الفخر فى صدر الإسلام مايفتح شهية من لايرون فيه شعراً قوياً ، غير أن قصائد الفخر آنذاك أكثر من أن تحصى، ومن ذلك ما كان فى عام الوفود حين جاء وفد تميم إلى النبى (صلى الله عليه وسلـم) ، وقام شاعرها مفاخراً بأبيات قوية مؤثرة لا شك فى أنه قد أعدها سلفا، وأنهـا قـد تمت الموافقة عليها لتكون نموذجاً لا يبارى ، غير أن حسان بن ثابت قد هب مـن فوره مرتجلاً ملبياً أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيبز بشعره شعراء وفد تميم ويسقط شعرهم[٣].

ـ وأما عن الهجاء: فهل يخفى مـا كـان مـن مواجهـات ومسـاجلات فى عديد من المناسبات والمواقف التى ثارت بين شعراء الشرك وبين شعراء الإسلام؟ وقد خلفت تلك المواجهات الشعرية إضافة لون شعرى عمل على إذكاء مقارضة

---

(١) السابق : ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٢) السابق : ج٤ ، ص ١٠٩.

(٣) راجع نماذج من الشعر فى هذا الشأن مع تحليل لها بهذا البحث.

الشعر وحيويته بصورة لم تتهيأ له من قبل، وإنما أوجدتها ضرورة ظروف جديدة فرضها بغى الباغين على الدعوة الجديدة وصاحبها وأصحابه، فكان فن المهاجاة المتبادل إذكاء للمناقضة أو فن النقائض، غير أن الإسلام لم يكن ليسمح لشعرائه أن يتجاوزوا حدود إطار منهجه القويم، إذ لم يقصده شعراء الإسلام ابتداء ، ولم يثبت أن من شعراء الإسلام قصد إلى أن يبتدر به غير المسلمين ، فلم تكن تلك غاية الإسلام وشعرائه، وإنما كانت غاية فن الهجاء فى الإسلام هى إزالة آثار هجاء الأعداء بهجاء[1] هو بمثابة مواجهة الداء بالداء ، غير أنه لتمكن شعرائه من إفحام شعراء الشرك وإبطال أثر شعرهم الهجائى لدى شعراء الإسلام فإنه لايعد داء،وإنما هو دواء لأدواء ٠

وهل ينسى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحسان بن ثابت : "كيف تهجوهم وأنا منهم ؟" فقال له حسان مطمئناً : سأسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين"[2].

ـ وأما عن الاعتذار ، فما أكثر الشعراء الذين كانوا قد بدر منهم ما قد يؤاخذوا به لظروف شتى قبل إسلامهم أو بعده ، إذ يعملون فنهم فى إيضاح حقيقة مواقفهم ، وإظهار براءة ساحاتهم مما أشيع عنهم ، أو اتهموا به ، فيلتمسون العفو والصفح ، وقد كان الأمر يصل حد إهدار الدم على نحو ما حدث مع " كعب بن زهير " قبل إسلامه ثم جاء معتذراً ، وتتفوق قريحته الشعرية بين يدى

---

(١) السابق.

(٢) متفق عليه.

الرسـول (صلى الله عليه وسلم) بصورة لم تتيسر لصاحبها قبل أن يسلم، فينال بشعره فى الإسلام منحتين: ـ ما كان أسعده بهما: ـ إذ يمنح فى الأولى حياته ، ويمنح فى الثانية مكافأة تخلده بعد مماته، حيث عفا عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكافأه بأن منحه بردتـه الشريفة، تأمل قول كعب فى اعتذاريته الرائعة المشهورة[1] ذات الأسلوب السهل الممتنع واللفظ العذب، والأداء الممتع، والمقصد الشريف، والعاطفة الجياشة، والتصوير الرائع فى إبداع ذائع:

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــى ٠٠ والعفو عند رسول الله مأمـول
مهلا هداك الذى أعطاك نافله الـ ٠٠ قرآن فيها مواعـيظ وتفصـيل
لا تأخذنى فى بأقوال الوشـاة ولم ٠٠ أذنب ولو كثـرت فى الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم بـــه ٠٠ أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون لـــه ٠٠ من الرسول بإذن الله تنويـل
مازلت أقتطع البيداء مدرعـا ٠٠ جنح الظلام وثوب الليل مسدول
حتى وضعت يمينى لا أنازعـه ٠٠ فى كف ذى نقمات قوله القيل[2]

ـ وأما عن فـن الرثاء فقد سبق أن تحدثنا عنه من خلال مراثى حسان فى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فى حال وفاته وهى تمثل أعظم مصاب تعرضت له الأمة بأسرها حتى لا نكاد نجد أحداً من المسلمين إلا زفرت قريحته بشئ من الشعر ينفث به عن صدره أنات حزنه وآلام فراق خير الأنام، بل إن

---

(١) اشترى معاوية بردة النبى (صلى الله عليه وسلم) التى منحها كعباً من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية فى العيدين، واكتسى بها كعب حلة مجد لا تبلى ، ولقبت قصيدته من أجلها بالبردة ـ راجع تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى :د٠ شوقى ضيف ، ص ٨٥.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤ ص ١٠٩.

منهم شعراء وشاعرات لهم فى ذلك عدة قصائد ومقطوعات فى رثائه (صلى الله عليه وسلم) ناهيك عن رثاء الشهداء والصحابة فى مختلف الغزوات والمناسبات، وكذا رثاء خلفائه (صلى الله عليه وسلم) ، ورثاء عامة موتى المسلمين ، ومن ذا الذى لا يتمثل بواحدة من أصدق قصائد شعر الرثاء على الإطلاق ، وهى عينية أبى ذؤيب الهزلى تلك التى لم تكن فى رثاء ملك أو أمير أو قائد ، ولكنها كانت فى رثاء أبناء الشاعر الخمسة[1] الذين ماتوا جميعاً بالطاعون فى مصر، ولذا فإن فيها من عمق الحزن والشجن وصدق العاطفة وجلال التجربة ، وحكمة فنها الذى يصور المسلم أمام سطوة الموت راضياً قانعاً قوياً ممتثلاً شجاعاً ما جعل معظم أبيات هذه المرثية ـ لشهرتها وبلاغتها وصدقها ـ صارت أمثالاً ، وكان مما قاله فيها: [2]

أمن المنون وريبها تتوجَّــع والدهر ليس بمعتب من يجـزع؟!
قالت أميمة :ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفــع؟
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعــاً إلا أقض عليك ذاك المضجــع؟
فأجبتها: أما لجســمى أنــه أودى بنىَّ من البلاد فودعــوا
أودى بنى وأعقبونى غصَّــة بعد الرقاد وعبرة لا تقلــعُ
سبقوا هوىَّ وأعنقوا لهواهــم فتخرموا ولكل جنب مصــرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصــب وإخال أنى لا حــق مستتبــع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلــت لا تدفــع
وإذا المنية أنشبت أظفارهــا ألفيت كل تميمــة لا تنفــع
فالعين بعدهم كأن جفونهــا سملت بشوك فهى عور تدمــع

---

(١) قيل: قُتل له ثمانية بنين ، وقيل: هلكوا بالطاعون ، وكانوا عشرة ـ راجع جمهرة أشعار العرب : ص ٥٣٥.

(٢) جمهرة أشعار العرب: ص ٥٣٤ وما بعدها ٠ وشرح أشعار الهزليين للسكرى، تحقيق عبد الستار فرج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، ص١ ومابعدها، مطبعة المدنى ٠ القاهرة.

وتجلدى للشامتين أريهـــم أنى لريب الدهر لا أتضعضـــع[1]

ـ ومن الأغراض الجديدة التى أضافها الإسلام إلى ديوان الشعر العربى شعر الدعوة الإسلامية ، فلقد مثل أمر الدعوة الإسلامية ونشر مبادئها موضوعاً أساسياً وقاسماَ مشتركاً فى معظم شعر شعراء عصر صدر الإسلام، وقد تطرق شعراؤه وهم يتمثلون أركان الإسلام وتعاليم القرآن وهدى النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى معالجة أمور فيها من العمق والإحاطة ما لم يعنّ للجاهليين شئ منه فى شعرهم ، ولذا فقد منح شعر الدعوة شعرنا العربي ثراء عظيماً شكلاً وموضوعاً، جملة وتفصيلاً، لغة وفناً، كما وكيفاً.

ومن أمثلة هذا الشعر ـ وما أكثره ، وما أجلَّ ما يتناوله من موضوعات، وما أجلَّ ما يضيفه إلى رصيد شعرنا العربى ـ قول النابغة العامرى:

الحمـد لله لا شريـك لـه من لم يقلها فنفسـه ظلمـا
المولج الليلَ فى النـهار وفى الليل نهاراً يفرج الظلمـا
الخافض الرافع السماءَ على الـ أرض ولم يَبْـن تحتها دعمـا
الخالقِ البارئ المصـوِّرِ فى الـ أرحام ماءً حتى يصيرَ دما
من نطفة قدها مقدرهـا يخلق منها الأبشارَ والنسما
ثم عظاماً أقامها عصَـب ثمت لحما كساه فالتأمـا
ثم كسا الريش والعقانـق أبشاراً وجلداً تخالـه أدما
والصوت واللـون والمعايـش والأخلاق شتى وفرّق الكلما
ثمت لا بد أن سيجمعكـم والله جهراً شهادة قسـما

---

(١) بمعتب: بمرض • وأودى: هلك • وأعنقوا: تقدموا وأسرعوا •
غبرت: بقيت • وناصب: ذو تعب • وألفيت : وجدت •
تميمة : تعويذة • وسملت : طعنـت •
لا أتضعضـع : لا تكسرنى مصائب الدهر.

فائتمروا الآن ما بدا لكـــم واعتصموا إن وجدتم عصما

فى هـذه الأرض والسماء ولا عصمة منه إلا لمن رحمـا"

ولا يخفـى مـا فى هـذه الأبيـات مـن الأثـر الكبـير للقـرآن العظـيم فى الموضوعات العديدة التى يتحدث الشاعر عنها وكذلك الألفـاظ التـى اسـتمدها من اللغـة القرآنية المعجزة .

ـ ومـن الأغراض الشعرية فى عصر صدر الإسلام : شعر الفتوح الذى كـان لـه دور جليل فى تعبئة الجيوش الإسلامية وتحميس الجنود من أجل رفع رايات الجهاد وحمل لواء الدعوة لنشر الإسلام الذى جاء بالهدى ليذهب الضلال ، ويقضى عـلى الظلم ويمحق الباطل ، ويحق الحق ويقيم العدل ، وينشر المساواة بين الناس جميعاً ، وبعد أن يتحقق النصر يكون من حق الشعراء الذين كان لهم دورهم فى الإعـداد له أن يفرحوا بنصر الله ، ويعبروا عن فرحتهم بالنصر وامتداح الأبطال والفرسان الشجعان المجاهدين فى سبيل الله بنفوسهم وأنفس ما عندهـم.

ولعمرى إن هذا الشعر ليدحض فرية أن الجهاد شغل المسلمين عن الشـعر، فهـذا "عمرو بن معد يكرب " الذى كان أحد فرسان الجاهلية ثم أسـلم، وكانـت لـه أشعار مشهورة فى معارك إسلامية مشهورة مع الفـرس والـروم ، ومـن شـعره فى معركة القادسية قولـه :

والقادسية حيث زاحـم رستم كنا الحماة بهـن كالأشطان

---

(١) الشعر والشعراء : ص ١٥٣ .

الضاربين بكل أبيض مخـدم والطاعنين مجامع الأضغان[1]

ومـن أولئـك الشـعراء الفرسـان للـذين أبلـوا بـلاء حسـناً فى الجهـاد والفتوحات الإسلامية " قيس بن مشكوح المرادى " الذى لم يكن مجرد محارب أو مجاهد، وإنما كان هو الذى نال شرف البطولة الفذة التـى لا تهـاب أى مواجهـة فى سبيل الله ، حيث أمكنه الله من قتل "رستم " قائد الفرس ، ثم هو يسـجل ذلـك فى إطار شعرى خالد إذ يقـول :

فناهضنا هنالك جمـع كسرى وأبناء المرازنـة الكـرام
فلما أن رأيت الخيل جالـت قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعـا بسيف لا أفـلّ ولا كهـام
وقد أبلى الإله هناك خـيراً وفعل الخير عند الله نامـى[2]

هذا قليل من كثـير، فـأى أغـراض الشـعر ذبـل أو ضـعف أو حرمـه الإسلام، لقد رفض الإسلام أشياءه، وحرم أشـياء فى هـذه الأغـراض ، كـما هـو الشأن حتى فى كلام عامة الناس ، منه ما يرفض ، ومنه مـا يحـرم ، ومنـه مـا يقبـل ويثاب عليه .

لقـد نفى الإسـلام هـذه الأغـراض ، فنحـى عنهـا السـخائم والرذائـل والدنايا وأمدها بما يقويها بالحق ، ويرقيها بالسمو ، ويغذيها بمداد لا ينضـب مـن أدب القرآن وبيان خير الأنام وكمال الإيمان ، فهل كان الشعر قبل الإسـلام يرفـل بمثل ما أسداه إليه الإسلام فى شتى أغراضـه ولا سـيما شـعر الـدعوة الـذى دعـا العـرب إلى إعـمال أبصـارهم وأفكـارهم ووجـداناتهم فى ملكـوت الله : الأرض والسماء ، السهول والجبال ، البحار والأنهار، الجنة والنار، والحق والعدل والحريـة والمساواة ، والعزة والانتصار من أجل الخلاص مـن خـزي العصـبية وذل الجزيـة والجهل والضلال إلى سعة الإسلام ونور الحق والعلم والإيمان.

---

(١) شعر عمرو بن معد يكرب: لمطاع الطرابيش ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) فتوح البلدان للبلاذرى: ص ٢٦١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الفصل الرابـع
حرية الشعراء قديما وحديثا
المبحث الأول :
حرية الشعراء بين حضارة اليونان وبين منهج الإسلام:

لعل من الخير ـ قبل أن نطوى صفحات هذا البحث النقدى فى نهجه الذى أشرنا إليه سلفاً فى مقدمته، والذى حاولنا قدر الجهد تطبيقه ـ أن نسبر ما فيه من نظرات نقدية متنوعة بنظرة نقدية أخرى تحاول أن تتفلت من أسار الجدل النقدى المباشر من خلال التحلى بنظرة نقدية أخرى، إذ تتمثل فلسفة الماضى البعيد ومعطيات تحضره إبان ذلك ، عن طريق عقد مقارنة عن حرية الشعر والشعراء بين حضارة اليونان ومنهج الإسلام ، يتجلى فيها موقف حضارة اليونان وفلاسفتها وأدبائها قبل الإسلام، أولئك الذين تزخر كتب الأدب ودراساته النقدية بآرائهم ورؤاهم التى يحلو لنفر غير قليل تمثلها، ويرون فيها نماذج خالدة، ونحن لا نقلل أبداً من شأنها، ولا من شأن أى أدب أو فكر يعمل لرقى الإنسان وتهذيبه ، لكن دون مغالطة بإهمال أو إغفال أو تقليل من تمام دور الإسلام فى ذلك من أجل الإنسان مادامت الحياة والأحياء شريطة الالتزام فى أن يكون الإبداع فى إطار راق قد أراده الإسلام لقوامة الإنسان واستقامته فى فكره وإبداعه .

لقد عملت الحضارة اليونانية القديمة من خلال فلاسفتها ونقادها ومفكريها منذ وقت مبكر وقبل نزول القرآن الكريم بقرون على أن تجعل للشعر إطاراً أخلاقياً ورسالة تؤدى إلى أن يحيا الناس حياة فاضلة ، فإذا لم يلتزم الشعراء هذا الإطار وتلك الغاية عُدَّ ذلك انحرافاً من الشعراء وإخفاقاً لدور الشعر ولما كان الشعراء لا يلتزمون ذلك فقد حط " أفلاطون " من قيمة الشعر .

فى حين منح كل اهتمام وتقدير للفلسفة ، إذ هى تعلى من شأن العقل والمحاورة ، وتأخذ بأسباب العلم أملاً فى إدراك الحقيقة " ولما كان أفلاطون قد

جعل الغاية الأولى والأخيرة هى الفلسفة ، فإنه قد حط من مقام الخيـال الشـعرى واعتبره تمويها وشيئاً مفسداً "[١].

وإذا كانت الفلسفة التى جعلها " أفلاطون " غاية الغايات تعنى محبـة الحكمة ـ فإن رسول الإسلام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) يكون قد أعـلى من شأن الشعر حين قال: " إن من الشعر لحكمـة" [٢].

إن الفارق بين القولين والبعد بينهما هـو الفـارق بـين السـماء والأرض، والبعد بينهما ؛ لأنه إذا كانت الغاية العظمى لا تـدرك بشـئ واحـد أو مـن سـبيل واحد على نحو ما كان فى فلسفة اليونان التى جعلـت الفلسـفة هـى الغايـة الأولى والأخيرة ، وأنها لاتدرك إلا عن طريق العقل ـ فإن آيـات القـرآن الكـريم لـتجلّى حقيقة فلسفة الإسلام فى أن غايتها التى هى غاية الغايات تتمثل فى قـول الله جـل وعلاه[٣]: (**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**)٠

إن غاية الإسلام هى إخراج الناس من ظلـمات الجهـل والظلـم والشر والضلال إلى نور الهداية والحق والعدل والخـير٠ وقـد وضـح القـرآن الكـريم أن السبيل إلى إدراك ذلك فى قول الله تبارك وتعالى[٤]: (ادع إلى سـبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة) ، فلم يقصر الأمر على العقـل وحـــده ، وإنـما هـو يـدعو إلى إعمال كل شئ حسن ، حتى الموعظة وصفها بالحسـنة، وإلا فلـن تـؤدى دورهـا، وهكذا فقد يكون من الحكمة استخدام الكلمـة الحسـنة كـى تـؤدى دورهـا دون الفعل ، كما أنه قد يكون من الحكمة عدم الركـون إلى الكلمـة دون الفعـل ، وقـد

---

(١) أفلاطون:د٠ عبد الرحمن بدوى، ص ٢٤١،مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الينابيع ١٩٤٣م.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه.

(٣) سورة إبراهيم ، آية ١ .

(٤) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

يكمل كل منهما الآخر فيكونا وجهين لعملة واحدة تفقد قيمتها إذا برزت ملامح أحد وجهيها دون الآخـر ٠

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يبلغ عن رب العزة لم يكن لينطق عن الهوى ، حيث لم يجعل الشعر كله حكمة ، كما لم يجعله كله شرّاً ولذا فقد أدت لفظة " من " التبعيضية ولفظة " إنَّ " التوكيدية دورهما تمام الأداء ؛ فإذا كانت لفظـة " من " قد بينت أن الشعر بعضه منه حكمة ـ فقد جاءت لفظة " إنَّ " لتؤكـد ذلك ٠

ـ إذا كان أفلاطون قد اعتبر الشعر تمويها وخداعاً وشيئاَ مفسداً ـ فإن الإسلام قد منحه من الجدة والصلاحية ما جعل الصادق الحاذق منه مؤيداً بروح القدس ، إذ يلهج بالحق ، ويبطل كلمة الباطل ، وينافح عن دين الله ورسوله والمؤمنين على نحو ما قال النبى (صلى الله عليه وسلم) لحسان ابن ثابت أحد الشعراء الفرسان الذين حاربوا أعداء الإسلام بسلاح الشعر: " اهجهم وجبريل معك "[١]. وفى رواية : " وجبريل يؤيدك " ، وفى أخرى: " وجبريل على لسانك يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله "٠

لقـد بلغت زراية أفلاطون بفنون الأدب وأهله ـ ومن ذلك الشعر والشعراء ـ حداً جعل بعض الكتاب الغربيين يقولون :" وفى استطاعتنا أن نخمن أن أفلاطون لم يستحسن أى فن أدبى"[٢] على أنه لم ينكر أنهم" يشبهون الملهمين لكنهم مجانين كثيرو الكذب "[٣].

---

(١) الحديث متفق عليه.

(٢) أفلاطون : ديف روبنسون ، وجودى جرونز، ترجمة إمام عبد الفتاح ، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة أقدم لك ٢٠٠١م.

(٣) أفلاطون : ديف روبنسون ، وجودى جرونز، ترجمة إمام عبد الفتاح ، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة أقدم لك ٢٠٠١م.

إن القرآن الكريم فى بيانه الحكيم عن الشعراء لم يسلبهم عقولهم ليسمهم بعد بأنهم مجانين كما أنه لم يصدر حكما عاماً بغوايتهم إذ يستعملون عقولهم وفنهم فى كل شر، أو يصورهم هائمين على وجوههم فى كل وادٍ ونادٍ يغووون ويكذبون ويقولون مالا يفعلون، وإن كان منهم من هو كذلك لاريب، لكن ليس كلهم يفعل ذلك• وما أعدل وأجمل أسلوب الاستثناء فى هذا الشأن إذ يمنح الحكم القرآنى الاستقامة الخالدة المعجزة التى تخلد قيمة الشعر والشعراء ، وتثمن دورهم وأثر سعرهم بذكر الله والإيمان به وبكتابه وبرسوله والعمل على نصرته بمحاربة الظلم والظالمين •

قال تعالى: (**والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون• وأنهم يقولون مالا يفعلون • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**)(١).

تأمل دور الشعر فى محاكمة الظلم ومحاربته على ما ينفث بذلك شاعر الرسول قائلاً: فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء ثم تأمل دفاعه عن رسول الله فى نسج شعرى محكم صار مضربا للأمثال دون أن تكون بغيته من ذلك تحصيل شهرة أو عطاء، وإنما هو يقوم بذلك ويرجو من الله الجزاء :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء

ثم تأمل قوله وهو ينفى عنه عن نفسه وفنه الشعرى، لا أقول ينفى الكذب، بل ينفى العيب والحيدة عن الأدب رغم أنه يملك لسانا شعريا لا تقل

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٤ ، ٢١٧.

حدته عن حدة السيف الصارم فى حيازة فارس فذ ينال من كل الأعداء دون أن يُنال ، على نحو ما يقول :

لسان صارم لا عيب فيه وبحرى ما تكرده الدلاء[١]

ـ إن الشعر فى الإسلام كلام مؤلف على نسق فنى محدد ، منه ما يحسن تأليفه وتأثيره ، ومنه ما فيه الخير، ومنه مالا خير فيه ، والإسلام بدستوره القيم المعجز الخالد يريد منا أن نعمل العقل فى ذلك ، فهل من العقل أن نرفض الشعر كله رغم ما فيه من خير ؟ ، أو أن نقبل الشعر كله رغم مافيه من شر ؟ ـ إن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ليدع الأمر على إجماله أو إشكاله ، وإنما هو يجلى حقيقة الشعر فى بيان جامع مانع قائلاً: " إنما الشعر كلام فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح "[٢].

إن الإسلام ليقدر قيمة الفن الشعرى وأثره حين يقوم بدوره فى إصلاح المجتمع، ويعمل على ترقيته وتهذيبه .

ـ وإذا كان أفلاطون سبق بأن جمع الشعراء فى قفص واحد مصوراً إياهم بالمجانين فإنه عاد ليجمعهم فى حلقة على أنهم فئة من الكهنة .. لايقولون الحق ولا يعرفون ماذا يريدون"[٣].

---

(١) ديوان حسان ، تحقيق د. سيد حنفى ، دار المعارف ، ص ٧٤ ـ ٧٧.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

(٣) أفلاطون : فى الفضيلة ، ترجمة وتقديم د. عزت قرنى ، دار قباء للنشر والطباعة ، القاهرة ٢٠٠١م ـ ص ١٠٤ ، ١٠٥.

على أن الإسلام لم يجعلهم جميعاً فئة من الكهنة ، وإنما جعل منهم فئة من المجاهدين على نحو ما يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى شأن شعراء المسلمين إذ يواجهون شعراء الشر والكفر :" والذى نفسى بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر "(١). وكذا قوله لكعب بن مالك الشاعر :

" إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ".

والإسلام فى تقديره وامتداحه لفئة من الشعراء لم يكن ليصدر فى ذلك عن نظرة عنصرية تتعصب للشعراء المسلمين فتمتدح الجيد منهم دون غيره من المجيدين ، فما أكثر ما يروى عن تقدير الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه رضى الله عنهم للجيد من الشعر حتى ولو كان جاهلياً(٢).

كما أن الإسلام لم يجعل الشعراء جميعاً أهل دجل وخبل ، وإنما يوجههم إلى الأخذ بأسباب العلم بالأيام والأنساب والأحداث ليتبصروا هنات غيرهم كى يتفوق شعرهم على نحو ما كان من توجيه النبى الكريم لحسان بن ثابت، وكذا طمأنة حسان للنبى بخصوص هجاء قريش مبيناً له أنه يعرف ما يريده النبى (صلى الله عليه وسلم) وأنه سوف يخلص إلى ذلك ومن ذلك بنجاء وإحكام وسداد حين قال له (صلى الله عليه وسلم): كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال حسان "إنى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين "(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده.

(٢) راجع بهذا البحث مواضع عديدة فى هذا الشأن.

(٣) متفق عليه.

ـ وإذا كان أفلاطون يرى أن الشعراء لا يقولون الحق ـ فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليقدر الصادق منهم على ما كان منه مع الشاعر لبيد حين سمع قوله : * **ألا كل شئ ما خلا الله باطل** *[١].

فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم) :" صدقت " ، وفى رواية أنه قال عنه :" أصـدق كلمة "[٢] .

والرسول لا يقول مثل هذا لمجرد أنه شعر لشاعر مسلم، فقد كان يتمثل كثـيراً بقول الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد:

* **ويأتيك بالأخبار من لم تـزود** *[٣]

وكذا كان يتمثل بشئ مـن شـعر أميـة بـن أبـى الصـلت وهـو لم يسـلم بعـد، ويقول :" إن كاد ليسلم " . وكذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفضـل الشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى على غيره لأنه " كان لايعاطـل فى قولـه ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه "[٤] .

ـ وإذا كان أفلاطون قد أدرك تناقض الشعراء فى أقوالهم وجدالهم " وأنهـم مثل السوفسطائيين ، وأنهم لا يعلمون الناس الفضيلة"[٥] .

---

(١) اللطائف والظرائف للثعالبى : ص ٦٠.

(٢) السابق.

(٣) العقد الفريد : ج٥ ، ص ٢٧١.

(٤) الأغانى ، ج١٠ ، راجع ص ٢٩٠.

(٥) أفلاطون : فى الفضيلة ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ ، ١٤٧.

فإن الإسلام ليقدر جيد فنهم، ويزنه بميزان الحق، إذ يقول رابع خلفائه الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه :" الشعر ميزان القول "(١).

ولما كان الرسول الكريم قد قال :" إن من الشعر لحكمة " فإن فاروق أمة الإسلام عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر "(٢).

ثم تأمل حكمة الشاعر المسلم ودعوته فى شعره إلى فضيلة القناعة إذ يقول :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

ودعوته إلى فضيلة الصبر على مصاب الموت إذ يقول :

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

ودعوة شاعر الرسول إلى الصدق فى الشعر إذ يقول :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا ما أنشدته صدقا

ـ وإذا كان أفلاطون يذكر أن أستاذه " سقراط " رغم أنه يدرك مافى الشعر من متعة إلا أنه يدرك كذلك أنه لا يؤدى إلى العثور على الحقيقة ، ولذا فإنه يرفض الشعر فى نهاية الأمر "(٣) ـ فإن الإسلام ليذكر للشعر أن منه ما لم يؤد إلى العثور على الحقيقة فقط ، بل إن منه ما يتجاوز ذلك إلى استشرافها والتبشير بها قبل أن تكون ،على نحو ما كان من الشاعر حسان بن ثابت فى الظرف العصيب يوم الحديبية ، إذ

---

(١) العمدة ، ج١ ، ص.

(٢) البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٢٤١.

(٣) أفلاطون فى السفسطائيين والتربية ، ص ٥٢ ، ترجمة وتقديم د٠ عزت قرنى ، دار قباء، القاهرة ٢٠٠١م .

يخلص بشعره فى هذا الظرف مبشراً المسلمين بتجاوزه وقيامهم بالفتح الأكبر إذ يفتحون مكة ظاهرين منتصرين تنطلق بهم خيولهم من جهة كداء قائلاً[١] :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأسنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

ولذا لما كان يوم الفتح ورأى النبى (صلى الله عليه وسلم) نساء أهل مكة يضربن وجوه الخيل بالخمر، تبسم إلى أبى بكر رضى الله عنه، وقال: " صدق حسان "[٢] .

إن الرسول الكريم بهذا ليقدم للعالم كله رؤية الإسلام الشاملة الكاملة والمتكاملة حيال هذا الفن ، فلم يكن الرسول ليقدر دور الفن الشعرى فى وقت دون غيره، على نحو ما كان من إقبال على الشعر والشعراء إبان المواجهات مع أحزاب الشرك الضلال حين كان المسلمون قلة مستضعفة ، غير أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد أن تم له الفتح الأكبر لم يكن ليرفض الشعر ، أو يبعد الشعراء ، بل هو يذكر صادق التجربة منه ويتذكر ويقدر قائله فرحاً بقوله وشعره.

---

(١) ديوان حسان : ص ٧٣ ، ٧٤.
(٢) كداء: أحد مداخل مكة من جهة المقابر. والأسل: الرماح .
متمطرات : مسرعات متسابقات .

- وإذا كان أفلاطون يرى - على نحو ما ذكر سابقاً - أن الفنانين - ومنهم الشعراء - ملهمون لكنهم مجانين يكثرون الكذب ولذا نفاهم من جمهوريته - فإن الإسلام لم يقم بنفيهم من إطار أمته التى هى (خير أمه أخرجت للناس)[1] ، وإنما سمح الإسلام للشعراء بإنشاد أشعارهم فى المسجد[2] الذى تقام فيه أعظم أركان الإسلام ٠

وليست الغاية من وراء هذه المقارنة هو التعصب لمنهج الإسلام والإساءة لحضارة اليونان وفلاسفتها ونقادها بإظهارهم فى صورة متدنية تركز على القوانين والأطر ذات الحدود الصارمة التى تقوم بألوان من الحظر والعسف مع الشعراء وفنهم ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر أنهم فعلوا ما فعلوه دون أن يتعرضوا للنقد ، وكأننا بهذا لا نريد ولا نتقبل النقد، فنحن ندرك أن أفلاطون وأرسطو ما صنعوا ذلك إلا لما أدركوه من خطر انحراف الشعراء فى شعرهم عن الغاية الأخلاقية ، كما أننا ندرك أنهما قد تعرضا من وراء ذلك لنقد شديد رغم ما كانا يهدفان إليه من سمو ورقى.

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٢) ففى صحيح مسلم - أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه ، فقال حسان : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : أجب عنى اللهم أيده بروح القدس ، قال : اللهم نعم.

وهـذا ما يجعلنا لا ننزعج من هذا النقد أو ذلك الرأى مهما تكاثر ذلك أو تتابع ـ فإذا كانت تلك النقود لم تنل من فلاسفة اليونان كما لم تنل آراء أفلاطون وأرسـطو من الأعمال الشعرية اليونانية الرائعـة ، حيـث كـان هـدفهما هـو الارتقـاء بـالفن الشعري وأهله ، وإذا كان البعض يرى فيها نماذج خالدة فإننا نقـدر ذلـك كلـه ، على أنه ينبغى أن يدرك الفرق بين نقد ونقد آخر ، وبين منهج نبيل لكنـه محـدود ، ومنهج آخر أسمى وأشمل وأكمل متمثلا فى منهج الإســلام ٠

المبحث الثاني

حرية الشعراء بين فوضى دعاة الحرية وبين التزام منهج الإسلام

آثرت كذلك وأنا أحاول أن أنهى هذا البحث أن أعالج نقطة أخرى مهمة تتناول فرية حديثة تعد إحدى تبعات تلك الشبهات والمغالطات التى حملتها تلك الأقوال النقدية التى استغلها الموتورون والمتحللون والسائرون فى دروبهم سالكين وسائل رخيصة فى سبيل غايات هابطة وخسيسة ، وإن قدموها فى صور لامعة خادعة متذرعين بدعاوى يزعمون أنها حضارية لدى أمم متحضرة ، يدعى من يتمثل سبل تلك الحضارات المنطلقة أنها لم تحقق ذلك إلا عن طريق الحريات التى كفلتها للمبدعين ومنهم الشعراء، حيث منحتهم الحرية والتقدير دون أن تمثل رقيباً يحارب المبدعين ، ويقيد أو يعيق حركة الإبداع وتحضره.

لقد منح الإسلام الإنسان الحرية التى لم ينلها فى غير الإسلام، حيث حرر العبيد، كما أنه منحهم حرية الرأى والتعبير دون أن تكون مجرد شغل لمساحة من الفضاء، بل لقد منحهم من التقدير فوق حرية التعبير أن جعل العبد سيداً مثلما صنع مع بلال الحبشى ، وأخذ برأى سلمان الفارسى فى أهم حروب الإسلام وغزواته. فلكل فرد فى الإسلام " الحق فى إبداء رأيه كيف شاء"(١) ، " ولم يضع قيداً على حرية الفكر والإبداع إلا حماية للدين باعتباره أول الضرورات للإنسان"(٢).

---

(١) راجع حقوق الإنسان فى الإسلام :د. على عبد الواحد وافى ، ص ١٠٣ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٩٦م.

(٢) راجع أصول المجتمع الإسلامى: د. جمال الدين محمود. ص ٩٦ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٨٣م .

ـ وليس معنى ذلك التسلط على الأدباء والمبدعين تحت شعار ضرورة الدين فإن شعار الإسلام الخالد (**لا إكراه فى الدين**)[١].

فالدين يبيح للفرد حرية أن يعتقد ، وحرية أن يرى، ويقول، وحرية أن يتصل بغيره " ولكن لا على الإطلاق ٠٠ بل بما يصور حرية الفرد ويحفظ وجوده"[٢] ولن يستطيع أن يحقق ذلك إلا إذا أقر بالغير وبوجوب الانسجام معه، وهذا مما يجلى كمال وشمولية الحرية فى الإسلام إذ لا يريد أن تكون حرية الفرد على حساب مصلحة المجتمع ، كما لا يريد للفرد أن ينسحق أمام الجماعة ، وإنما يريد له أن ينسجم معها ومع الحياة دينها ودنياها٠

وإذا كان الإسلام بقوانينه الكاملة والعادلة ودعوته الشاملة لايسمح باقتحام ما يعده الناس فساداً كالإساءة إلى الأديان عمداً ٠٠ سواء من جانب المسلـم وغيره ٠٠ أو الدعـوة إلى الرزيلة ونحـو ذلك مما لا يقبل أحد ولا مصلحة فيه لجماعة"[٣]ـ فهل يقبل من شاعر مهما كانت شهرته وموهبته تحت أى ستار وفى أى إطـار من حرية أن يتجرأ على الخالق جل وعلا ، على نحو ما اقترف "نزار قبانى" فى حديثه أو شعره الفج عن "القلب" ذلك العضو الصغير الذى يصلح الجسد بصلاحه،ويفسد بفساده ،غير أن حديثه جاء خاوياً عن مغزى مفيد أو مبنى مليح.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٢)الإسلام والفلسفات المعاصرة: د٠ محمد البهى، ص ٥٧ ٠ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧م .

(٣) أصول المجتمع الإسلامى : ص ١٠٣ ، ١٠٤.

يقـول نـزار[١] :

القلـــب الإنسانى تركيب ملغـوم

بكثير من الاحتمالات ٠٠ التى لا تتوقعها السماء

القلـــب الإنسانى قمقـــــم

رماه الله على شاطئ هذه الأرض

وأعتقد أن الله نفسه لا يعرف محتوى هذا القمقـــم

وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد استمع إلى الغزل العفيف فى غرضه ، اللطيف فى لفظه ، الشريف فى قصده ـ فهل يقبل من الشاعر فى غزله غير العفيـف أن يتطاول على قدسية ذات الله العليـة وطقـوس الصـوفية النقيـة ، حيـث يعبـث بالأحوال المختلفة ، فيبارك ما تسوله له نفسه دون حيـاء مـن علمـه بـأن ذلـك فى حضور " الله " جل جلاله ، ثم يصفه بصفة تنكر المعلوم من الدين بالضرورة،إذ يقول: إنه الله ـ تعالى عن ذلك علواً أبدياً ـ أغفى سنة من فرح ٠ والله عز وجل (**لا تأخذه سنة ولا نوم**)[٢] ٠

يقول أحمد زرزور :

مـرة قالـــت :

---

(١) عن الشعر والجنس والثورة: ص ٥٤ ٠ منشورات نزار قبانى٠ ط خامسة، بيروت ١٩٨٠م.

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥.

احذر الكهرباء وناولتنى يداً أوصلت المتصوفة بانقطاعاتهم كان الله حاضراً تلك الرعدة فأغفى سنة من فرح[١] إن مثل هذا الشعر أو الكفر لا يمكن أن يقبل من قائله، أو ممن يروج له تحت ما يسمى بحرية النقد الذى هو على شاكلة هذا المروق والخروج عن حدود الأدب والذوق والعلم والفن والفلسفة ، على نحو ما نجد من لغو ولغط فى قول حسن النجار:

يترك الله فينا غرائزه ثم يمضى إلى النوم ..

أسعى إلى جسد امرأة .. حانة يطلع الوجد

فيها نبيذاً وريحاً مرادفة للدمـــــاء

ومثل هذا اللغو واللغط نجد من يتقبله ممن يتصدر مجال النقد مغالطاً زاعما أنه " هرطقة يمكن توليفها بإيقاع واحد هو : الغضبة لوحدة الإنسان المسحوق المندحر الذى يلام على مصير ليس هو منشئه"[٢] وهذا نصار عبد الله يعلن أنه لا يبالى بإرادة الله جل وعلا ، إذ هو يرى أن الحق هو ما يراه، وليس ما أراده الله. يقول نصار عبد الله : يقول الفلاسفة الحق إن أردت باطل وإن أراد الله الحق مانراه[٣].

وإذا كان الإسلام لم يكره أحد على الخير فلا يكرهه أحد على أن يقول رأيه فى مثل هذا القول أو ذاك بأنه لا يدعو الأجيال التى تلقته إلا " إلى أن يعملوا من أجل عواطف المراهقين وعزائز الشباب.. إلى مايصوره من فساد وجناية على

---

(١) حرير الوحشة: أحمد زرزور، ص ٥٩ . الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ١٩٩٤م .

(٢) محمود حنفى كساب:أحزان الشعراء. ص٢٣٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة١٩٨٥م.

(٣) أحزان الأزمنة الأولى: ص ٤١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

العقائد والرسالات السماوية ، والـدعوة إلى الشـك والإلحـاد ، والانحـراف عـن الجادة"[١].

إن هذا اللغو والمروق ، وهذه الزراية والجناية أبعد ما تكون عن الحريـة الشريفة الكريمة الرفيعة فى الإسلام التى أعتقت الإنسان وكرمته وسيدته، إن هذا الانفلات الذى ضل منابع الحرية فى الإسلام لا شك فى تهويمه وانكفائه على وهاد ضحلة تناسب ضحالة ودناءة وخسة نفسه وفكره وذوقه على نحو ما يتمثل لـدى الوجـوديين والمـاديين للـداعين إلى حريـة تتحلـل مـن كـل الضـوابط والقـوانين والشرائع والأعراف التى تراعى حتى فطرة الإنسان التى فطره خالقـه عليهـا أنـه يفعل أشياء يرى أنهـا مباحـة ، ويمتنـع عـن فعـل أشـياء يـرى أن فعلهـا خطـأ، ويستحى أن يفعل أشياء يرى أن فعلها وإن لم يكن ممنوعاً إلا أنه يعـد عيبـاً وأمـراً شائناً وليس مقبولا٠ فالحرية عند أولئك الوجـوديين أو المـاديين وأمثـالهم حريـة متحللة من كل شئ منطلقة بآخذها إلى لا شئ ، أوهى مفضية به إلى شئ مهلك له ولغيره ، إذ هى " تتمثل فى التعبير الفردى مهما أضر بـالقيم ، أو جانـب الطبيعـة السوية"[٢].

فالحرية عند الماديين " تدعو إلى الاستمتاع الشخصى ، وبما هـو محـس، وتدعو إلى إنكار القيم والمثل والمبادئ، وتحرص عـلى أن يـلازم الإنسـان طفولتـه الإنسانية،وتحثه على الاستمتاع بالصـيغة الماديـة دون حـرج مـن شـعور بمثـل أو مبادئ وقيم ٠٠ ودون خوف من خالق له الأولى والآخرة"[٣].

---

(١) د٠ محمد عبد المنعم خفاجى، مجلة صباح الخير ٢٧/ ٨/ ١٩٩٢م.

(٢) مدخل إلى الأدب الإسلامى: نجيب الكيلانى: ص ٨١ ٠الأمة ، قطر، ١٤٠٧هـ .

(٣) الإسلام والفلسفات المعاصرة: د٠ محمد البهى ، ص ٥٥.

والوجودية لا تفترق كثيراً فى فكرها وتحللها عن الفكر المادى ، إذ هى تبغى أن يحقق الفرد رغباته المطلقة بقول ما يشاء ، وفعل ما يشاء وسلوك كل سبيل إلى ذلك، ولو كان ذلك على سبيل العبث وإنكار ما تعارف عليه المجتمع من عادات وآداب ، وما آمن به نحو خالق الكون والموت والحياة وهو الله .

إن الأمر خطير جد خطير، إذ هو ليس مجرد حرية إبداع ومبدعين شعراء كانوا أو أى فئة من المنتسبين إلى أى فن ينشد حرية مزعومة على نحو ما يدعو إليه أصحاب تلك الدعوات الخبيثة المتحللة من كل شئ طيب وحق وخير ، كما هو الحال فى الإسلام وما منحه للإنسان من حرية حقة وإذا كانت الحرية فى الإسلام لا تبدأ إلا بعد الإيمان بالله ـ" فإنها فى الفكر المادى والوجودى لا تبدأ إلا بعد إنكار وجود الله "[1].

إن دعاة الفن والأدب والشعر الذين يفتأون لا يملون من ترداد زعمهم أن الإسلام يعيق حرية الفن والشعر ويضيق على الشعراء ، لأنه لا يمنحهم الحرية الكافية ، وهو ما يؤدى إلى ضعف الفن والأدب والشعر.

وفى تقديرى أن هذا ليس فيه دعوة لحرية الفن ومبدعيه، إذ هى لا تدعو على شئ مفتقد فى الإسلام ، فرسالة الإسلام لم تكن إلا لتحرير الإنسان وإكرامه وإخراجه من ظلمات العبودية وضلالات الجهل والشرك ، فأى حرية يريدون ؟ ـ حرية الهدم والعرى والرذيلة والإلحاد والشرك والانفلات إن مثل تلك الدعوات لا تعدو أن تكون باحثة عن حق زائف ذائع تريد به، أو تبحث به عن باطل لامع خادع وفاجع، لا عن طريق الحرية، وإنما عن طريق إلباس الانفلات

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامى: ص ٨٤.

لمفهوم الحرية بغرض توظيف ذلك من أجل ضرب المشروع الإسلامى - كما يرى بعض الباحثين - لأن الإسلام أقوى مشروع حضارى يضاد المشروع الغربى"[1].

فهذا " أدونيس " أحد شعراء ودعاة تلك الحرية المزعومة ، لا أريد أن أقول لك تأمل قوله، فهو لا يحتاج إلى تأمل ، حيث يقول فى قوة وحرية منفلتة وصراحة صارخة فاجعة:

مانهدف إليه أن نتخطى ما كنتموه وما ورثتموه٠٠

نهدمه أيضا لكن بلوعة٠

فنحن هدامون ، وكل منا قائد اللوعة والرماد٠٠

الوجود حولنا ٠ وجودكم كريع عدو لن نقبله

لن نصادقه ٠٠ لن نهادنه

لن نفكر تحت سقفه ولا سمائه

سنغرق فى وجود آخر"[2]

ويقول أيضا:

لسنا من هذا الماضى ٠٠

هذا هو الخيط الأول فى نسيج الظل٠٠

اللا ماضى هو سيرنا٠٠

---

(١) حرية الإبداع الأدبى بين الفوضى والتزام : د٠ صفوت زيد ص ٥٧ ، ٥٨.

(٢) صحفية المسلمون، عدد ٢٤/ ٤/ ١٩٩٢م.

الإنسان عندنا ملجوم بالماضى٠٠

نعلمه أن يكسر اللجام ويجمح[١]٠

وأمام هذا وأمثاله وجدنا من نقادنا الغيورين من يقف فى وجه دعاة تلك الحرية المزعومة، على نحو ما صنع الدكتور محمد مصطفى هدارة حين أرسل إلى رئيس الجمهورية برسالة فى هذا الشأن ـ وهو ما يعنى أن الأمر لم يعد مجرد حرية فن أو فنان ـ بين فيها" أن المطالبة بهذه الحرية٠٠٠ تستهدف دين الدولة ، ودستورها ، ونظامها"[٢].

لم يقتصر الأمر على النقاد فى مواجهة دعاة الانفلات وحرية الزيف واللهث خلف الغرب إلى كل جحر وطئ، فقد وجدنا من الشعراء من يواجه ذلك، ويكشف الغمة عن عين وعقل من يريد أن يرى الصواب ويتعقل حقيقة الدعوات والدعاة ، على نحو ما نجد فى شعر الدكتور" يوسف القرضاوى " إذ يقول[٣]:

---

(١) السابق ، العدد نفسه.

(٢) مجلة إبداع ، عدد مايو ١٩٩٢م.

(٣) الأمة، عدد يونيو ١٩٨٦م ، وصوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر: د٠صفوت زيد ، ص ١٢٤.

قل للذى سار خلف الغرب إمعـــة	يقفو خطاهم صواباً كان أم غلطـا
الغرب أعلـن عزل الله من زمـــن	عن ملكه ٠٠ ومضى لا دين لاربطا
وبات معبوده مالاً يصول بـــــه	فى الخمر والجنس والآثام مختبطا
يسعى إلى الرجس كالخنزير فى شره	مهما رأى القذر استهواه فالتقطـا
أغلى الجمادات ، والإنسان أرخصـه	وارخص الناس من بالمشرق ارتبطا

وإذا كانت روح الشعر قد آذرتها روح العلم فى أبيات " القرضاوى " السالفة الناصحة فى إنشـائها ، الصـادقة فى تقريرهـا، الرائعـة فى بياتهـا وبـديعها، وقافيتها الطائية التى تشعرنا بتوفيق الشاعر فى مناسبتها لوطأة التجربة وضخامتها ـ فإن روح الشعر لتبدو ذات عينين إذ تعالج الموضوع نفسه دون النظر إلى حضارة الغرب المادية وحدها، بما فيها ومالها من بريق ومآلها وتبعاتها ، بل هى ترقب ذلك بعين، والعين الأخرى تملى رؤيتها ما فى حضارتنا الإسلامية الروحانية الخالـدة بـما لها من فضل على الإنسان فى منحه حياة كريمة فى الدنيا، ومالها من الفضل العظيم فى منحه الخلود فى الحياة الآخـرة ٠

يقـول " التهامـى " عن حضارة الغرب :

حضارتهم يضل الناس فيها بسوق كل ما يأتيه خسر
تـراهم كلهم فى كـــل وادٍ ضحاياعضهم فى القيد أسر

ويقـول: هم الأحرار إن كتبوا وقالوا وما فيـهم يذل العيس حر
ولو فتشت فى أعماق كـل فإنكـار لمبدنه٠٠ وكفـر
وكل سعادة فيهم قشـــور وتحت قشورها للبؤس بذر
فلا يخدعك فى يدهم شراء فخلف بريق هذا المال فقر

ثم يقول: حضارتهم قصور من زجاج مآل صروحها الحتمى كسر
تـراهم فى مفاتنها حـيارى كصعلوك غدا يؤيه قصـر

فجوعان ومحروم غثـــى وظمآن وبين يديـه نهـر
فإن قرت لراحتها جنـــوب فلا يرتاح فى الخفقان صدر
فبعض الناس يشفيه انتحـار ويشفى البعض إدمان وسكر[1]

ويقول عن حضارة الإسلام:

وفينا من حضارتنا مـلاذ لديه لزورق الحيران بـــر
فكل حياتنا والعيش فيهـا لدرب حياتنا الأخرى ممـر
حياة تنتهى.. وحياة خلـد وبينهما ذراع الموت جسـر
نفى الدنيا وفى الأخرى حياة يتم بها على الإحسان أجـر
وفيها يصبح الخير امتـداداً يعود ولو تقاصر عنه دهـره
وتغرسه النفوس على رجاء بأن يرتد مما فيه عطـــر
فيربط بين كل الناس فـينا على الأيام إحسان ويـــر
ويجرى الحب فى الأعماق حتى يجود بيانع الأزهار صخـــر
وترتفع النفوس عن الدنايـا فلا ينحـــط بالإنسان وزر
وبين الروح والجسد التقـــاء لكل منهما فى الكون دور[2]

ما أشبه حضارتنا الإسلامية الروحانية وحضارة الغرب المادية بالروح والجسد ، فالجسد قد يعجب ويبدو جميلاً لدرجة الفتنة غير أنه حين تفارقه الروح يموت ويتعفن ويتحلل، وهذا هو شأن الحضارة المادية. أما الروح فهى سر الحياة، وهى التى تمنح الحياة قيمتها وقوامها وخلود من يقدرها ويقدر خالقها بالإيمان وعمل الخير والبعد عن كل رذيلة أو شر. وإذا كانت الروح لا تموت مثل الجسد ، وإنما تخرج عنه لتسعد إلى باريها ـ فهذا هو سر عظمة حضارة الإسلام ذات الطابع الروحانى القيم الداعى لخيرى الإنسان فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الأمة، أبريل ١٩٨٥م. وصوت الشعر فى الإسلام : ص ١٢٦ ومابعدها .
(٢) الأمة، أبريل ١٩٨٥م. وصوت الشعر فى الإسلام : ص ١٢٦ ومابعدها.

وإذا كانت روح الشعر أغلب على نموذج " محمد التهامى " عنها فى نموذج "القرضاوى " ، حيث بدت نظرته أشمل إذ ينظر بكلتا عينيه إلى حضارة الغرب وحضارتنا ـ فإن " القرضاوى " يحسب له إنصافه وموضوعيته إذ ينظر بكلتا عينيه إلى حضارة الغرب موازناً بين مالها وما عليها، دون أن يصنع صنيعهم حين ينظرون إلى سلبيات أهل الإسلام دون أن يقدروا سمو الإسلام ورقيه وشموله وكمالـه.

وموضوعية " القرضاوى " تنصف الإسلام قبل أن تنصف الغرب، إذ هو نموذج للإنسان المسلم العالم الناقد الشاعر المرهف الصادق الرؤية والقول على نحو ما نجد فى قولـه:

ولست أنكر ما للغرب من أثـــر فى عالم اليوم فالإنكار محض خطا
بالعلم يسّر للإنسان عيشتـــه وصاغ بالعقل عقلا قلما غلطـــا
بالعلم رد لذى الأسقام عافـــة فقام يحيا سعيداً بعدما قنطـــا
لكنه عاش دون الله فافتقـــدت حياته الطهر مهما ازدان وامتشطا
فأعجب له صاعداً يغزو الفضاء به وأسف له هابطاً فى الطين قد سقطا(١)

والشاعر المسلم لا ينظر فى إيجابيات وسلبيات غير المسـلمين دون أن يفـتش عـن عيبه هو وبنى الإسلام ، فالإسلام لا يمنـع الشـاعر أن ينقـد سـلبيات مجتمعـه فى معالجة شعرية تضع أيديها على مواضع الداء، ثم هى لا تكتفى بكشف،وإنما تعمل على تبصيرية وتذكيره بأسباب الدواء٠ يقول"القرضاوى"

تقول: ما لنبى الإسلام قد هزمـوا ولم يسيروا إلى العلياء غير خطا ؟!

---

(١) الأمة، يونيو ١٩٨٦م٠وانظر صورت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر: ص ١٠٠، ١٣٠.

كأنما تجعل الإسلام متهمـــا والحق أبلج لا يحتاج كشف غطا
الذنب ذنب بنى الإسلام مذ بعـدوا عن منهج الله أضحى أمرهم فرطا
فقد خاصموا الله إذ خانوا شريعته وقلّ إنتاجهم إذ أكثروا اللغطـا(١)

إن مثل هذه الروح الشاعرة الناقدة التى تنعى على بنى الإسلام جميعا تخلفهم وفشلهم فى مواصلة سير سلفهم من الرعيل الذى شاء حضارة الإسلام فى قرون الإسلام المتحضرة السامقة ، فى حين نهل منها وعب غيرهم، وجـد السير ، حتى انطلق يغزو الفضاء بينما يقبع بنو الإسلام غافلين خاملين مختلفين ، إن مثل هذه الروح الناقدة لم تكن لتصب لاذع نقدها على الشعراء والمبدعين دون غيرهم، فلم الإرغاء والإزياد إذن حين ينتقد بعض الشعراء أو المبدعين حين يحيد واعن الدور المنوط بهم إنسانياً وفنياً ودينياً؛ والإسلام لم يكن بدعاً فى ذلك فقد بينا من قبل دور حضارة اليونان فى رقى الإنسان وتحضر عن طريق محاسبة الشعراء والفنانين ، وهذا " توليستوى" أحد رموز حضارة الغرب الحديثة يبين مدى ما بين الفن والعقيدة من ارتباط دون أن يلفظ أى منهما الآخر شريطة أن يوظف الفن لرقى البشر وصلتهم بالله. يقول" توليستوى":" إن الفن صلة بين إنسانية الإنسان وبين عبوديته لله " وإن الفنون فى وسعها أن تكون أدوات أخلاقية حين توظف القيم الأخلاقية فى الوصول إلى قلوب البشر""(٢) .

إن الذين يزعمون أن الإسلام يقف حجرة فى سبيل إبداعهم بتعاليمه وقوانينه وضوابطه لو صدقوا " لاعترفوا بأن الذى يقف حجر عثرة أمامهم هو

---

(١) الأمة، يونيو ١٩٨٦م. وانظر صورت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر: ص ١٠٠ ، ١٣٠.
(٢) الفن والجماهير ، مرجع سابق : ص ٩٢.

فشلهم فى التوفيق بين الأشياء، وبحثهم عن صيغة مناسبة للجمع بين الإسلام والأخلاق اللذين هما أساس الواقعية وبين الأدب الذى يجب أن يدور فى هذا الفلك"[١]. فالإسلام لم يقف ضد الإبداع السامى الراقى الذى يعالج الواقع بصدق وموضوعية ويتطلع للمستقبل الذى فتح الإسلام فيه للعقل وللخيال آفاقاً غير محدودة التصور والتخيل لكن فى حدود شعرية الدين الخالد الذى يزيد المبدع تواضعاً وسموا إذ يدرك مع كل خطوة نحو التقدم والرقى مدى ما كان عليه من تخلف ، ويدرك كذلك أن ما وفق إليه ليس غلا خطوة على طريق التقدم والرقى.

---

(١) حرية الإبداع الأدبى ، مرجع سابق : ص ١٢١.

الخاتمـــة

الحمد لله أولاً وأخيراً والصلاة والسلام على خاتم المرسلين الذى أرسله رب العالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً سيدنا محمد بن عبد اللاه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه٠

وبعـــد

فإن هذه الدراسة على ما بذل فيها من جهد، وما أنفق فيها من وقت للمطالعة والتجميع وما استتبع ذلك من تحليل ومعالجة للنصوص والآراء ونقدها على المستوى الخاص أو العام مع مراعاة التسلسل التاريخى وظروف العصر وقضاياه وربط ذلك بغيره، فإن كل هذه الأمور كفيلة بأن تجعل الباحث يشعر أنه مهما قدم وحاول فى بحثه فإن ذلك لا يعدو أن يكون كلمة فى سفر الحياة التى يفتح البحث أمام الباحث فيها آفاقاً أرحب تصله بعوالم تطلعه على أسرار تجعله فى تأمل دائم وتفكر فيما كان وما قيل عنه أو عليه ، وما هو كائن وما يقال ويمكن أن يقولـه٠

وإذا كانت الحكمة تقول : أعط العلم كلك يعطك العلم بعضه فما بالنا نبخل على من يضن بالعطاء القليل إلا إذا أعطيناه كل مالنا٠ ويا من للبحث إذ بخل الباحثون ؟ ويا من للبحث إذا أدلف إلى حقله من لا ينهض بأعبائه؟

وعلى كل حال فإن الباحث مهما أعد واستعد وجد السير فما كان أجدره وأجمله فى بحثه أن يتمثل بحواصل الطير إذ تغدو خماصاً ، ثم تروح بطاناً، وهكذا فإن عناية الله قد منت على عبده فى بحثه هذا ابتغاء مرضاته وشفاعة نبيه وإهداء طلاب العلم والأدب ومضة فى سماء الأدب تلك التى شفت عنها هذه الدراسة ومن أهم ما شفت عنه هذه الدراسة ما يأتى:

ـ التهاون فى متابعة ومعالجة الآراء والأحكام العامة التى ترتبط بالعقيدة والهوية

دون تمحيص وتحقيق يعد أمراً جد خطير ٠

ـ أمانة النقد تستدعى مراعاة الكم والكيف دون إغفال ملابسات الظرف أو المرحلة التاريخية بموضوعية وجدية ٠

ـ نفى أن يكون القرآن الكريم شعراً وأن يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم)

شاعراً ليس معناه الطعن على الشعر أو الغض منه، وإنما كان ذلك ليتميز القرآن عن الشعر وغيره ، وكذا ليتميز النبى (صلى الله عليه وسلم) عن غيره من البشر ٠

ـ فشل كل المحاولات التى زعمت أن فى القرآن الكريم آيات على قوالب الشعر.

ـ سورة الشعراء لم ترفض الشعر مطلقا، ولم تحكم على الشعراء عامة بالغواية ، وإنما أراد الإسلام من خلال آياتها أن يقدم منهجاً سامياً للشعر والشعراء ٠

ـ للشعر دور فى الجهاد الإسلامى لا يقل عن دور السيف وغيره من آلاته ٠

ـ شعر الخير أقوى من شعر الشر بدليل تفوق شعراء الإسلام على غيرهم ٠

ـ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أبان فى كلمة جامعة مانعة أن الشعر منه حكمة ومنه مالا خير فيه ٠

ـ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان قريباً من الشعراء يستمع لهم وينقدهم ويوجههم ويشجعهم ويثيبهم ، وقد يعاقب المتجاوز منهم ، وقد يعفو عنه إذا عدل عن ذلك ٠

ـ الرسول (صلى الله عليه وسلم) قدم النموذج الأسمى فى تقدير الفن الشعرى

ـ خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يحيدوا عن منهجه فى تقدير دور الشعر والشعراء ٠

ـ أبو بكر رضى الله عنه كان له دوره فى تفوق الشعر فى عهد النبوة ٠

ـ عمر رضى الله عنه قدم للعالم رؤية الإسلام النقدية السامية للفن الشعرى.

ـ قوة الشعر لا تتمثل فى كون الشر بابه ، بل فى جودته ومدى تأثيره ٠

ـ الإسلام فتح أبواباً جديدة للشعر عملت على ثرائه وإذكائه وسموه مثل شعر الدعوة ، وشعر الفتوح ٠

ـ الإسلام عمل على تنقية أغراض الشعر وتغذيتها وترقيتها ٠

ـ شعر الجاهلية لم يكن كله شراً فى نظر الإسلام بدليل تمثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين بالجيد النافع منه ٠

ـ الإسلام قدم ميزاناً جديداً للقوة فى فن الشعر فى تمكُّنه وقوة تأثيره ٠

ـ حسان بن ثابت لم يسقط شعره فى الإسلام، والقول بسقوطه يعد سقطة فاضحة، حيث أسقط كل شعراء الشر، ونال فى الإسلام بشعره من التفوق

والشرف ما لم ينله شاعر، ويكفيه شرفاً وسمواً وخلوداً لقبه بأنه شاعر الرسول، وأنه مؤيد بروح القدس.

ـ كما أن مراثى حسان فى الرسول (صلى الله عليه وسلم) تشهد له لاعليه.

ـ الجهاد لم يكن عائقاً للشعر والشعراء، فقد فاق الشاعر المسلم فى فخره بجهاده كل فخر جاهلى ليقينه فى الفوز، ولذا كان يفخر متفائلاً مستبشراً قبل أن يتم النصر.

ـ الشاعر المسلم لم يدع الشعر مطلقاً، وإنما هو ينفث به حتى الرمق الأخير على نحو ما كان فى غزوة مؤتة.

ـ القول بهلاك الرواة وضياع الكثير من الشعر شاهد للإسلام لا عليه.

ـ الحضارة اليونانية عملت على أن تجعل للشعر إطاراً أخلاقياً، غير أنها حطت من قيمته نظراً لانحراف الشعراء.

ـ الشعراء فى نظر أفلاطون ملهمون لكنهم مجانين كثيرو الكذب، أما فى الإسلام فليسوا جميعاً غواة، بل منهم الصالحون ومنهم المجاهدون، والحكماء.

ـ الشعر لدى سقراط لايؤدى إلى العثور على الحقيقة ولذا رفضه فى نهاية الأمر،لكن الشعر فى الإسلام تجاوز إدراك الحقيقة إلى التبشير بها قبل أن تتم.

ـ أفلاطون طرد الشعراء من جمهوريته ، لكن الإسلام لم يطردهم من أمته، بل سمح لهم بإنشاده فى مسجده ٠

ـ حضارة اليونان غايتها فى ذلك سامية غير أنها محدودة، أما غاية الإسلام فهى أسمى وأشمل وأكمل ٠

ـ الإسلام منح الإنسان حرية لم ينلها فى غيره ٠ ولم يضع قيداً على الإبداع إلا حماية للدين باعتباره أول الضرورات للإنسان ٠

ـ الحرية فى الإسلام ترفض التسلط والانسحاق وتحفظ للفرد وجوده وتريد له الانسجام مع غيره ٠

ـ الإسلام للذى منح الفرد حرية الاعتقاد يرفض الإبداع للذى يسئ إلى العقيدة والعرف ٠

ـ حرية الإسلام أعتقت الإنسان ومنحته العزة والسيادة والشرف والرفعة، وإن من لم يقنع بذلك ينفلت وينحط ليعب من كل وطئ دنيئ وردئ مهما كان معجباً مغرياً على نحو ما يتمثل لدى الماديين والوجوديين ٠

ـ دعاة الفوضى والتحلل يعملون على إلباس الانفلات لمفهوم الحرية ٠

ثبت بأهم المصادر والمراجـــع

أولاً : المصادر والمراجع العربية٠

١ـ الإتقان فى علوم القرآن ، للسيوطى، تحقيق السيد أحمد صـقر ، دار المعـارف ، مصر ٠ د٠ت ٠

٢ـ الإسـلام والفلسـفات المعـاصرة:د٠ محمـد البهـى، المجلـس الأعـلى للشـئون الإسلامية ٠ القاهرة ١٩٩٧م٠

٣ـ الأدب فى موكب الحضـارة الإسـلامية : د٠ مصـطفى الشـكعة، دار الكتـاب اللبنانى ، بيروت .

٤ـ الاسـتيعاب فى معرفـة الأصـحاب ، ابـن عـبر الـبر ٠ دار الكتـب العلميـة بيروت ١٩٩٥م ٠

٥ـ الإصابة فى تمييز الصحابة:ابن حجر العسقلانى،مطبعة السعاة، ١٣٢٨هـ .

٦ـ أصول المجتمع الإسلامى :د٠ جمال الدين محمود ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٦م ٠

٧ـ إعجاز القرآن : الباقلانى ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ٠

٨ـ الأغانى: أبو الفرج الأصفهانى، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤م٠

٩ـ أفلاطون: د٠ عبد الرحمن بدوى ٠ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٣م ٠

١٠ـ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، ٢٠٠٣م ٠

١١ـ البيان النبوى : د٠ محمد رجب البيومى ٠ ط دار الفكر ٠

١٢ـ تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان ، مراجعة وتعليق د٠ شوقى ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ٠ د٠ت ٠

١٣ـ تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى: د٠ شوقى ضيف، ط تاسعة دار المعارف ٠ مصر ٠

١٤ـ تاريخ الأدب العربى: بروكلمان، نقله إلى العربية د٠ عبد الحليم النجار دار المعارف ٠ مصر ٠

١٥ـ تفسير الكشاف: الزمخشرى، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٣٢١هـ٠

١٦ـ جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشى، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر ٠ د٠ ت ٠

١٧ـ جمهرة أنساب العرب: ابن حزم٠ تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٢م٠

١٨ـ حقوق الإنسان فى الإسلام: د٠ على عبد لواحد وافى، الملجس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٦م٠

١٩ـ دراسات فى الأدب فى الأدب الإسلامى ، د٠ سامى مكى العانى ٠ المكتبة الإسلامية ٠ بغداد٠

٢٠ـ دراسات ونصوص فى الأدب العربى: د٠ محمد مصطفى هدارة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥م٠

٢١ـ دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجانى، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ١٩٩٢م ٠

٢٢ـ ديوان بجير بن زهير ٠

٢٣ـ ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد الرحمن البرقوقى، بيروت،١٩٦٦م

٢٤ـ ديوان زهير بن أبى سلمى، دار صادر ، بيروت ، لبنان ٠

٢٥ـ ديوان العباس بن مرداس السلمى، تحقيق يحيى الجبورى، بغداد، ١٩٦٨م

٢٦ـ ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق حسن محمد باجورة، القاهرة ، ١٩٧٢م٠

٢٧ـ ديوان كعب بن زهير، شرح أبى سعيد السكرى، دار الكتب ، ١٩٥٠م٠

٢٨ـ ديوان كعب بن مالك، تحقيق د٠ سامى مكى العانى، بغداد ، ١٩٦٦م٠

٢٩ـ ديوان لبيد ، تحقيق د٠ إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢م ٠

٣٠ـ ديوان النابغة الجعدى، تحقيق عبد العزيز رباح ، دمشق ، ١٩٦٤م٠

٣١ـ ديوان النابغة الذبيانى، تحقيق كرم البستانى، دار صادر، بيروت د٠ت٠

٣٢ـ ديوان الهزليين، تحقيق أحمد الزين ، دار الكتب ، ١٩٤٥م ٠

٣٣ـ الرحيق المختوم: المباركفورى، دار الوفاء، المنصورة ، ٢٠٠١م٠

٣٤ـ السيرة النبوية: ابن هشام ، ط مصطفى البابى الحلبى ،(طبعة ثالثة)٠

٣٥ـ شرح المعلقات السبع للزوزنى، دار ابن زيدون ، بيروت ، لبنان ٠

٣٦ـ الشعر والشعراء: ابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤م ٠

٣٧ـ الشعر فى الإسلام : د٠ أحمد الغول ، دار لوران للطباعة والنشـــر الإسكندرية ١٩٧٩م ٠

٣٨ـ الطبقات : ابن سعد ، دار صادر ، بيروت (١٩٥٧ـ١٩٦٨م)٠

٣٩ـ طبقات فحول الشعر : محمد بن سلام الجمحى ، تحقيق محمد محمد شاكر مطلعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٤ م٠

٤٠ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ورفاقه ، دار الكتاب العربى بيروت ٠

٤١ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : وابن رشيق القيروانى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل لبنان ، ١٩٨١م ٠

٤٢ـ فتوح البلدان : البلاذرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م٠

٤٣ـ اللطائف والظرائف : الثعالبي ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ٠

٤٤ـ مدخل إلى الأدب الإسلامى ، نجيب الكيلانى، الأمة ، قطر، ١٤٠٧هـ٠

٤٥ـ مقدمة ابن خلدون : ط دار الشعب ، القاهرة ، د ٠ ت ٠

٤٦ـ الموشح : المرزبانى تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م
٠

٤٧ـ موقف الإسلام من الشعر : د٠صلاح الدين محى عبد التواب ، مطبعة السعادة مصر ١٩٨٨م ٠

٤٨ـ نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ط أولى ٠ مكتبة الكليات الزهرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ٠

ثانيا: مراجع أجنبية مترجمة :

٤٩ـ أفلاطون: ديف روبنسون وجودى جرونز ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، سلسلة أقدم لك ، ٢٠٠١م ٠

٥٠ـ أفلاطون : المحاورات الكاملة،نقلها إلى العربية شوقى داود تمراز ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤م ٠

٥١ـ أفلاطون: في الفضيلة ، ترجمة وتقديم د/ عزت قرنى ، دار قباء للنشـــر دار الطباعة ، القاهرة ٠ ٢٠٠١م ٠

٥٢ـ أفلاطـــون في السفسطائيين والتربية : ت د/ عزت قرنى دار قباء للنشر والطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠١م ٠

ثالثاً : الصحف والدوريات :

٥٣ـ إبداع ، عدد مايو ١٩٩٢م ٠

٥٤ـ الأمة ، عدد أبريل ١٩٨٥م ٠

٥٥ـ الأمة ، عدد يونيو ١٩٨٦م٠

٥٦ـ المسلمون ، عدد ٢٤/ ٤/ ١٩٩٢م٠

فهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمـــــة	١١٥
الفصـل الأول : قضية الإسلام والشعر: مضمونها ومصادرها ومرتكزاتها	١٢١
ـ المبحث الأول : مضمونها ومصادرها	١٢١
ـ المبحث الثانى: مرتكزات أساسية فى القضية٠	١٢٦
أولا: نفى الشعر عن القرآن الكريم والرســول (صلى الله عليه وسلم)	١٢٧
ثانيا: محاولات فاشلة تزعم أن فى القرآن آيات على قوالب الشعر	١٢٨
ثالثا: آيات سورة الشعراء ومنهج جديد للشعر	١٣٠
الفصـــل الثانـي: قضية الإسلام والشعر:رؤية نقدية مجملة (ذات منهج تاريخى تحليلى)	١٣٣
ـ المبحث الأول : حال الشعر فى عهد النبوة	١٣٣
٠أحاديث شريفة تعزى إلى نصرة الشعروأخرى تعزى إلى الغض منه	١٣٣

الموضـــــوع	الصفحة
• الشعر فى حكم جامع مانع للرسول (ص): أنه بعضه حسن،وبعضه لاخير له	١٣٤
• الرسول(ص) لم يكن بعيداً عن شعراء عصر •	١٣٥
• الرسول (ص) كان يستنشد الشعر وينقده ويتمثل به •	١٣٦
• الرسول (ص) يقدم النموذج الأسمى فى تقدير الفن الشعرى•	١٣٩
• الرسول (ص) يعفو بالشعر ، ويكافئ عليه •	١٥٦
ـ المبحث الثانى : حال الشعر فى عهد الخلافة الراشدة•	١٤٤
• أولاً : حال الشعر فى عهد أبى بكر •	١٤٤
عنايـة أبى بكر بالشعر وبصـــره به •	١٤٤
نشاط الشعر فى عهـد أبى بكـــــر •	١٤٤
• ثانياً : حال الشعر فى عهد عمر بن الخطاب •	١٤٧
عمر يرى أن الشعر من خير صناعات العرب ، ويقدره فى كل أمر	١٤٧
عمر يقدم للعالم رؤية نقدية سامية للفن الشعرى•	١٥١
• ثالثاً : حال الشعر فى عهد عثمان بن عفان •	١٥٢

الموضـــــوع	الصفحة
تقدير عثمان دور الشعر وخطره وأثـــره٠	١٥٥
٠ رابعاً: الشعر فى عهد على بن أبى طالب ٠	١٥٥
ـ اهتمام على بالشعر وتقديره وبصره به ٠	١٥٥
ـ تطور الأحداث وتحول الشعراء ٠	١٥٧
الفصـــل الثالث :	١٥٩
قضية الإسلام والشعر: رؤية نقدية مفصلة مباشرة ٠	١٥٩
ـ **المبحث الأول:** الرد على القول بأن الشعر بابه الشر ٠	١٥٩
٠ قوة الشعر لاتتمثل فى كون الشر موضوعه، بل فى مدى تأثيره٠	١٦١
٠ شعر الخير أقوى أثراً من شعر الشر ولذا تفوق عليه٠	١٦٤
ـ **المبحث الثانى:** الرد على القول بأن الشعر إذا دخل فى الخير لان	١٦٤
ـ **المبحث الثالث :** الرد على القول بأن" حسان" سقط شعره فى الإسلام	١٦٧
٠ الإسلام وميزان جديد للقـوة	١٦٧
٠ مرائى حسان فى الرسول (ص) تشهد له لا عليه٠	١٧١

الموضـــــوع	الصفحة
ـ **المبحث الرابع**: الرد على القول بتشاغل العرب عن الشعر وانصرافهم عنه ٠	١٧٤
٠ الشاعر المسلم فاق فى فخره بجهاده كل فخر جاهلـى ٠	١٧٥
٠ القول بهلاك الرواة وضياع الكثير من الشعر شاهد للإسلام لاعليه.	١٧٧
٠ الأحكام العامة كثيراً ما يجانبها الصواب ٠	١٧٩
ـ **المبحث الخامس**: الرد على القول بذبول الشعر فى الإسلام ٠	١٨٠
٠ الإسلام عمل على تنقية الشعر وتغذيته وترقيته لغة وموضوعاً وقصداً ٠	١٨٠
الفصـل الرابـــع	١٩٠
حريـــة الشعراء قديما وحديثـــا ٠	١٩٠
ـ **المبحث الأول** : حرية الشعراء بين حضارة اليونان وبين منهج الإسلام ٠	١٩٠
ـ **المبحث الثانى**: حرية الشعراء بين فوضى دعاة الحرية وبين التزام منهج الإسـلام٠	٢٠١
الخاتمـــــة	٢١٤

الموضـــــوع	الصفحة
ثبـت بأهـم المصادر والمراجـع•	٢١٩
فهـرس	٢٢٤